

الثقافة
ثراء
وسيرة
لا تنتهي

الأدب الأسبوعي

www.awu.sy

العيد الذهبي
لاتحاد الكتاب
العرب

2019 - 1969

25 ل.س

12 صفحة

الأسبوع الأدبي - "السنة الواحدة والثلاثون" العدد: "1696" الأحد 20/9/2020م - صفر 1442

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

• مالك صقور

كلمة أولى

السروة انكسرت

٣٠

وهنا، أصل إلى المشهد الأخير من لوحة السروة انكسرت؛ قولوا ما شئتم، اشرحوا، فسروا، عللوا، رمزوا، أولوا لكن السروة انكسرت. وأخيراً؛ بعيداً عن التفسير، أو التأويل الذي يحتمل هذه الكلمات البسيطة أكثر مما تتحمل، وعلى الرغم، مما يختم الشاعر به قصيدته - اللوحة - فإن البساطة، والرشاقة، ووضوح المعنى، يحمل عمقاً أسراً. خاصة، عندما يعيد القارئ القراءة أكثر من مرة. وفي يقيني، وكما فهمت، أن السروة، ليست أية سروة، بمعنى، أنها ليست شجرة سرو عادية، في بستان ما، أو في حقل ما بعيد. فما أكثر شجر السرو. لكن آل التعريف تجعل القارئ يبحث عن أية سروة يتحدث الشاعر. وأية سروة هي التي انكسرت. وماذا يقصد؟ وأظن، أن لكل قارئ سروة.

(السروة انكسرت)، أظن، أنها سروة معروفة.. معروفة من قبل الجميع. وربما، على الأقل، معروفة في المحيط الذي يعيش فيه الشاعر. وربما، يعيش فيه القارئ أيضاً. ولهذا، تدخل لام العهدية تشير إلى سروة بذاتها، بعينها، أي السروة التي نعرفها نحن جميعاً. وربما يبقى تعدد القراءات مفتوحاً، على تحميل (السروة) رمزاً ما. لقد كرر الشاعر: (السروة انكسرت) سبع مرات. من غير العنوان. وهو بهذا التكرار يؤكد أمراً ما، بعينه. واللافت أيضاً، في هذه القصيدة - اللوحة، هو التشبيه:

فالسروة

- كالمثدنة

- كالزرافة

- كالمكنسة

للمثدنة دلالة، إن شئنا. فالمثدنة، ليست مجرد فن معماري، شاهق، يمتع الناظرين. ويبهج السامعين. المثدنة - منارة، ومنها يطلق الأذان، يدعو الناس للصلاة. وتلقى من عليها الأوراد أيضاً.

وفي الوقت نفسه، لانكسار المثدنة، دلالاته أيضاً. يظنهما كل قارئ كما يشاء. هي كالمثدنة - عند الشاعر، أما عند الآخر فهي؛ كالزرافة، وللزرافة معنى آخر، ودلالة أخرى. الزرافة - حيوان ضخم، من ذوات الظلف، وهي قصيرة الرجلين، طويلة اليدين، لكن عنقها طويل جداً.

إذن: ما وجه الشبه، بين السروة والزرافة؟ هل الضخامة، أم طول العنق. (فهي طويلة كزرافة)!! هكذا، رأى الآخر، أما الثالث يقول: (كمكنسة الغبار) لا معنى لها. وكما قلت؛ إن من طبيعة شجر السرو، أن يجمع الغبار، بسبب وريقات أغصانه الدقيقة. إذن: كل شبه السروة، من وجهة نظره، كما يريد، وكما يعرف، وكما يشاء..

ولابد من الانتباه، إلى أنسنة السروة، بغض النظر عن التشبيه، إذا ما لحظنا كلمة: (نامت، تقشف، كفاف).

ولابد من الانتباه أيضاً إلى الإهمال، واللامبالاة، للعابرين على الحطام، فبالإضافة إلى عدم احترام حرمة الطريق. فإن أحداً لم يتوقف لدقيقة، أو أقل أو أكثر، كي يزيح هذا الكائن - الذي قطع الطريق، وعرقل السير. لم يأبه، أحد لذلك، وعبروا فوق حطامها، وداسوها، باستخفاف..

وكما قلت؛ بعيداً عن التأويل، وتحميل القصيدة، أكثر مما تحتمل من الرمز، ولنعد أن القصيدة تسجيل واقعي، لمشهد حقيقي قد شاهده الشاعر وعائنه، وكان شاهداً عليه، فسجله بعين شاعرية، وريشة فنان محترف، وهكذا، كل ما في الأمر؛ في النهاية؛ إن السروة انكسرت.

ولكن: ماذا لو استبدلنا (السروة) بـ (الثورة)؟..!



لوحتان للفنان التشكيلي محمد الجالوس

لغتنا الجميلة

• معاوية كوجان

تسري على أسنتنا طائفة من الأخطاء الصرفية، آتي في السطور التالية على إيراد بعضها .

يقولون: أصابته (لَوْثَةٌ) (بفتح اللام) فأخذ يهرف بما لا يعرف. الصواب أن نضم اللام في هذه الكلمة، فنقول: (لَوْثَةٌ).

يقولون: سُرعان ما تغيرت الأحوال. الصواب أن نفتح السين فنقول: سُرْعانَ.

يقولون: عاش إبان الحرب العالمية الثانية. الصواب أن تُسبق كلمة (إبان) بحرف الجر (في) فنقول: عاش في إبان الحرب.

ومثل كلمة (إبان) كلمة (أثناء). يقولون مخطئين: أمطرت السماء أثناء إلقاء الخطاب. الصواب أن تُسبق كلمة (أثناء) بحرف الجر (في) فنقول: في أثناء.

يقولون: هذا شاعرٌ (فَطْحَل)، والصواب (فِطْحَل).

يقولون: أصابته القُشْعَريرة. الصواب (قُشْعَريرة).

يقولون مخطئين في صرف كلمة (بُلْهَنِيَّة) (بُلْهَنِيَّة).

يخطئ بعضهم فيشدد حرف الميم في كلمة (دَم). فيقولون خطأ: بذل الدم فداءً لأرضه

العرب.. والذاكرة الفلسطينية

• د.رحيم هادي الشمخي

بعد أن دجن اليهود العرب ووضعهم في أقفاص، كل حسب وظيفته المحددة، ها هم يلتفتون أخيراً كما يبدو إلى فلسطين، كنا نظن طوال تلك العقود أن مبلغ نظرهم هو حدود فلسطين السايكسيكية، غير أن فلسطين لم تعدو بالنسبة لهم كونها موطن قدم لا أكثر، وهم يدركون تماماً اليوم كما ندرك نحن، أن هذا الموطن كان أسوأ اختيار، كنا نظن أيضاً أن القضية الأولى بالنسبة لدولة الكيان هي أرض فلسطين ومقدساتها والعقل الفلسطيني، وكنا نظن أن مصطلح الصراع العربي الصهيوني ساحتها هناك على أرض فلسطين، حتى تبين لنا أن اليهود كانوا يعملون طويلاً على الوصول إلى مفتاح بوصلة العقول العربية واللعب بها، والتي كانت تعتبرها دولة الكيان قضيتها الأولى منذ إعلان تأسيسها سنة 48 من القرن الفائت.

لكن بالفعل راهن أيضاً قادة الحرب والسياسة الصهيونية على العقل الفلسطيني طويلاً منذ سبعون عاماً جنباً إلى جنب مع رهانهم على باقي العقول العربية، وها هم يصدمون للتو حين يواجهون الفلسطينيين الذين ولدوا في الألفينات، يواجهونهم اليوم على ساحة المعركة وداخل المعتقلات، وعلى الحواجز وخلال المظاهرات ومظاهرات العودة الغزية، ليكتشفوا أنهم خسروا الحرب ضد الذاكرة الفلسطينية خساراً عظيماً، لذلك عاد العقل العربي الرسمي للتو أيضاً من جديد كما كان قبل سبعين سنة، حين قال عنه الصحفي الصهيوني «إيدي كوهين» عاد ليحاول غسل أدمغة الفلسطينيين والعرب من جديد مع فارق بسيط وهو العنصرية المفرطة هذه المرة في الدعوة للحضن اليهودي هناك في دولة الكيان الصهيوني.

مع الكيان الصهيوني اليهودي اليوم يدرك تماماً فشل تلك العنصرية بالتأثير على الذاكرة الفلسطينية، بل والعربية أيضاً، فالعرب التي شنت طوال السبعين سنة الماضية، لم تجدي أي نفع بالمرّة، وما تلك العنصرية الغربية علينا التي نراها اليوم إلا ورقة أخيرة، الظاهر للجميع داخل دولة الكيان وباقي الأنظمة المحيطة بها أنها محروقة، إلا إذا حصل الضرد الفلسطيني على أضعاف ما كان يحلم به أي زعيم عربي حارب سبعين سنة لأجل نظامه وبقاء سلالة عائلته، وهذا غير منطقي، بعض القادة اليهود داخل دولة الكيان باتوا يدركون ذلك الآن مثل وزير العدل المتطرف في دولة الاحتلال، «يائيت شاكيد»، التي اعتبرت بأن الخطة الأمريكية للسلام الفلسطيني الإسرائيلي والتي يطلق عليها، صفقة القرن هي مضيعة للوقت.

كانت صدمة اليهود تجاه الردع الفلسطيني الغزي على العملية الاستخباراتية العسكرية الإسرائيلية الأخيرة الفاشلة في غزة لخطف القيادي في حركة الجهاد «نور بركة» كانت صدمة هائلة.

وقبلها بأسابيع حين صرح رئيس وزراء دولة الاحتلال، بنيامين نتنياهو قبل زيارته الأخيرة المنقطعة إلى فرنسا، بأن حكومته تسعى لتعزيز سبل التهدة والسلام مع غزة حماس، ما هذا التحول في عقل نتنياهو المتطرف المجرم؟ لقد عارض الشعب اليهودي داخل دولة الكيان الهدنة ووقف إطلاق النار غير المشروط اللتان أعلنهما نتنياهو عقب العملية الفاشلة، مدركاً نتنياهو حينها أن التطرف والإجرام الذي لطالما سوق في السابق القادة الصهيونية في الانتخابات إلى الناخبين، لم يعد هو الحل السحري، فهم يتطلعون اليوم لتسويق أنفسهم كقادة يهود يجب أن يثق بهم المواطن العربي كشريك لسلام مفترض تماشياً مع

سياسة العنصرية في العلاقات الرسمية العربية مع دولة الاحتلال، التي يظهر الآن أنها لم تعد تكفي رغم إقرارها منذ الربيع العربي.

لذلك كانت صدمة اليهود تجاه الردع الفلسطيني الغزي على العملية الاستخباراتية العسكرية الإسرائيلية الأخيرة الفاشلة في غزة لخطف القيادي في حركة الجهاد «نور بركة» كانت صدمة هائلة بعد هذا الشوط الكبير من العنصرية الرسمية العربية للتوق للحضن الصهيوني وهم يشاهدون التفاعل العربي العريض الذي امتد من المحيط إلى الخليج، كانت صدمة هائلة وقوية الأثر على اليهود الأمر الذي دفع وزير الحرب في دولة الاحتلال «أفيغدور ليبرمان» إلى الاستقالة تلك والحقيقة أنها أزمة تعبر عن شرخ كبيرات يضرب في عميق بناء المجتمع التصرفات اليهودية معبرة جداً وعاطفية تجاه الصدمة من هذا الفشل في تحويل العقل العربي الشعبي عن القضية الأولى تماماً كما هو حال الجانب الرسمي، رغم مئات آلاف تغريدات الذباب الإلكتروني العربي التي تدفع تجاه قبول دولة الكيان بيننا كعرب ودعم التطبيع ومقت الفلسطينيين وقضيتهم، والذي تبين أن هذا الذباب لا يعدو كونه ذباب قدر قمتي لا يعيش طويلاً، معروف لدينا وحتى لدى اليهود أنه لا يجتمع إلا على القذارة.

لكن رغم ذلك فنفس اليهود الصهيونية داخل كيانهم طويل، وسيظلوا يراهنون على العنصرية العربية التي يعتقدون بأنها ستزيد من الإحباط بين الشباب العربي وستنخر جسم الكيان الفلسطيني التاريخي في النهاية، لكن هناك أمثلة شاهدة على الفشل الذي بات يدركه الجميع، الآن يسأل اليهود أنفسهم، من نحن هل نحن نازيون بعد هذه السبعين سنة وأكثر؟ كما قال الكاتب اليهودي «إسحاق ليينور» في مقال له في صحيفة هارتس العبرية قبل أيام، حين يتحول نتنياهو إلى حشرة فإن الشعب الذي يحبه يمر بالتحول نفسه ويصبح حشرات، وحين استيقظ نتنياهو ذات صباح من أحلامه الوردية ليكتشف أنه تحول إلى حشرة كبيرة «حشرة إسرائيل» ولم يشأ أن ينهض من فراشه قبل أن ترتاح نفسه ويرى كل من حوله وقد تحولوا إلى حشرات واستفاقوا أخيراً، وفي الليل اتصل رئيس الأركان بيببي وقال له: أنا مستقيل، ياببي، عندما استيقظت في الصباح من أحلامي الوردية اكتشفت أنني تحولت إلى حشرة كبيرة، بيببي هداه وقال له: صديقي: هكذا يأتي الخلاص، ورئيس الشباك أيضاً اتصل وقال أنه يجب أن يستقيل، بيببي سأله: كم رجلاً لك؟ في أعقاب ذلك الشعب كله مر بالتحول وزحف في أعقاب بيببي رئيس الحكومة، لقد كان كافكا مبالغاً ليحل السلام علينا.

السؤال الحاضر اليوم أعزائي، هل ينجح العرب في هزيمة الذاكرة الفلسطينية التي فشل في هزيمتها اليهود طوال سبعين سنة من الاحتلال، من خلال انفتاحهم ونهمهم نحو إقامة علاقات مع دولة الاحتلال، من خلال الذباب الإلكتروني؟ في الحقيقة الجواب يعلمه جيداً كل من ليينور، وشاكيد، ونتنياهو، وليبرمان ويعلمه شعبهم الذي قبل أن يتحول إلى حشرات، وأعتقد أنه يعلمه أتم أيضاً أعزائي إذا لم تتحولوا إلى حشرات بعد.

النقد الأدبي / من الخصوصية إلى وحدة المعرفة

انتصار على الزوال والنسبية

٢ من ٢

• إسماعيل الملحم

وأساليب وأدوات. كان لهذا الاتجاه أن أفرز أعمالاً نقدية مختلفة في المعايير التي اختارتها والنتائج التي أنتجتها. رافق تلك التأثيرات ما انبثق عن العلوم الإنسانية والاجتماعية واتجاهاتها، التي ما انفكت عن تطوير أدواتها وأساليبها. كما أن النقد كثيراً ما استفاد من معطيات العلوم النفسية فظهرت أعمال نقدية هامة اتخذت مراجعها من مدارس علم النفس المختلفة ابتداءً من الاستبطان إلى مدارس الاشراف الطبيعي والإشاري والمدرسة السلوكية ومدرسة الغشائل ومدارس التحليل النفسي، حيث يكشف النقاد والمحللون النفسيون عن وجود اللاشعور في كل أثر أدبي، واستدلال ذلك يأخذ في الاعتبار وجود واقعة أو جملة من الوقائع من شأنها أن تصبغ اللاشعور وبالتالي الكتابة بألوان قاتمة أو متفائلة. "3" إضافة إلى تلك المقابلات بين معطيات علم الجمال وتوظيفها في النقد.

ختاماً؛ ما زالت بعض الأعمال النقدية تجابه الدوغمائية في تعاملها مع النصوص وإبعادها عن الموضوعية لدى هذا البحث أو ذاك. وكذلك تلك الأعمال التي اتخذت أنظار بعض النقاد تنظر إليها من باب التقديس والانبهار حتى أن بعضهم يتخذ من شاعر بعينه أو روائي مقياساً له في تعامله النقدي مغلباً أهواءه وعواطفه على حساب النص.

ومع كل ما سبق، نعود إلى الوراء على غير ما يعود له الباحث في العلوم البحتة، فالنص الأدبي لا ينتابه الضعف والغياب مهما بعدت المسافة بيننا وبينه. بين الأدب والناس والمعرفة أكثر من عصر ذهبي، وإلا كيف نستقبل قراءة الأساطير والشخصيات الأسطورية وغيره من شخصيات يظل يرد نتاجها إلى أذهاننا. يقول جان جاك روسو: العصر الذهبي الذي وضعه الإيمان الأعمى بالخرافات خلفنا أو أمامنا هو بالفعل فينا، داخلنا.

ما آراه يعذبني، ما لا آراه يؤذني تلك معجزة الإبداع، وهو مصدر دائم للقلق الذي هو الحافز الأهم في كل عمل أدبي وإبداعي. اختصره ليفي ستروس مبيناً تحديات الثقافة في الأدب وغيره من مسائل الإبداع، قال:

أنا مدين بنفسي إلى الإنسانية، كما إلى المعرفة. إن التاريخ والسياسة وعالم الاجتماع والاقتصاد والعالم المادي، وحتى الفضاء كلها تكتنفي بدوائر متمركزة، ولن أستطيع الفرار منها إلا بتنازلي لكل منها عن جزء مني. وكما أن الحضارة التي تترك علامات التلويحات على سطح الماء في عبورها خلاله، يتعين علي أن ألقى بنفسي في الماء إذا أردت أن أسبر الأعماق. "4"

الهوامش:

- 1 - خليل أحمد خليل: النقد وعقل الناقد - مجلة الفكر العربي -
- 2 - رشيد الحاج صالح: المعرفة العلمية والعوامل الاجتماعية والبيئية والمنطق - ص 59-عالم الفكر عدد 1/36 أيلول 2007
- 3 - جان بيير ريشار: الزمن النفسي والزمن الألسني - مجلة مواقف عدد 41/42 ص-131 ربيع/ صيف 1981
- 4 - ليفي ستروس: عن غليغورد غيرتز: تأويل الثقافات- ترجمة محمد بدوي- المنظمة العربية للترجمة - بيروت 2009

جدير بالنقد الترفع عما ذكرنا، كما أنه من باب آخر أن يغتني بالمعارف التي تمد الناقد خاصة والكاتب عامة بالإفادة من علوم الإنسان وليس الركون إلى الملاحظة الداخلية التي تقوم على التأمل كون الإنسان نفسه من يتأمل وينقل نتائج فعله إلى الآخرين فهو الملاحظ والملاحظ في الوقت نفسه، إضافة إلى الحرص من وقوع التعاطي مع العلوم الإنسانية أحياناً في أوام تضل الناقد وتفقد النقد موضوعيته المتبغاة. ففي مجال الدراسة الأدبية والنقد الأدبي والثقافي ثمة تباين لا بد من الإشارة إليه بين الأدب نفسه والنص الثقافي عامة ودراسته كون الدراسة تؤول إلى العلوم الإنسانية من أجل موثوقيتها... وأن النقد كونه مشروعاً عقلياً لا يتجاوز كونه منهجاً اجتهادياً، لا يحتمل الجزم والحتم، فإداة الناقد لا تغادر التساؤل والاندھاش، كما جاء في دراسة خليل أحمد خليل (النقد وعقل الناقد) - مجلة الفكر العربي. إذ يقوم النقد أساساً على الرأي والفكر فلا يتجاوزهما، وهو لا يكون بلا تفكير وتمعن وتبصر، وبلا رؤية. أي أنه في النهاية حوار معرّف ما يجعله يسمو بذاته إلى مشاركة المنقود والنص في توليد المعنى، وليس النقل عن نص بنص الذي لا يعدو كونه تفسيراً للنص بمرادفات لبنية النص المنقود. يدعوننا ما سبق للتعرف على أن العملية النقدية لا تتجاوز خصائصها كحالة معرفية. فالإنسان بطبيعته ناقد، وإن كان هذا النشاط الإنساني يتجلى عند مختلف الناس بمستويات مختلفة تتعلق بثقافة الشخص وتجاربه ومستوى معارفه، وهو -أي النقد- نشاط ذهني أولاً لكنه لا يغفل عن وظيفته الاجتماعية فهما تجرد الأدب في وظيفته النقدية من ناحية كونه فناً يبقى تعبيراً عن أفكار متجسدة في مواقف ووجود إنساني، يعني هذا أن من شأن النقد تفعيل علاقات الناس بشكل أو بآخر، فلا يتعدى طبيعة الإنسان التي تنزع في كل نشاطاته إلى النقد (الإنسان بطبيعته نقاداً). فالفضل النقدي في نشاطه حوارى وجدالي وبما هو فعل إنساني فإنه لا يتعدى إحدى خصائص الإنسان الذي يصح فيه القول بأنه -أي الإنسان- أكثر المخلوقات جدلاً إضافة إلى أنه معرّف انتقادي وناقد ومثقف. "1"

الحياة التي لا تخضع للنقد حياة لا تعاش:

والنص الأدبي لا يكون مكتفياً بذاته مهما بلغ من الثراء أو قل، أي أنه ليس بيئة أو بيئة مغلقة، وإنما هو شبكة من أشكال معرفية وإن كانت لا تأتي دائماً في لبوس مباشر، حتى أن هيدغر كان يتمنى ألا تمارس الفلسفة إلا بشكل قصائد، وقد نوه سقراط في أثناء جهده لتوليد الأفكار بأهمية النقد، قائلاً:

الحياة التي لا تخضع للنقد هي حياة لا تعاش.

وهنا تجدر الإشارة إلى بديهية تتعلق بالإبداع في أنه لا يجابه تقبل صاحبه فحسب، بل أن يكون فيه ما يحفز صاحبه على القفز فوق المقاييس المسبقة فلا تحول النظريات بين المبدع وبين انطلاقته في لحظتها المناسبة والمحفزة. وهذا لا يعفي الناقد أيضاً من تجاوز مقاييسه وأحكامه المسبقة. الفكر الناقد في مستوى من مستوياته المتقدمة تتطلب منه أن يكون قادراً على انتزاع نفسه من نفسه، أي أنه يقتضي أن يضع نفسه مكان الآخرين مما يبسر له لا أن يفهم بشكل أفضل فحسب، بل أيضاً أن ينظر في أحكامه الشخصية، بمعنى العودة إلى ذاته. الناقد اليوم، أكثر من أي وقت مضى أمامه تحديات هائلة لأن النقد هو أكثر الأجناس الأدبية مواجهة للفروق الهائلة بين الثقافات المتباينة بين الأفراد والجماعات. يقول كارل يسبرز في هذا الصدد: لا يعرف الفهم حداً لاستقصاء ذاته، الأسئلة تتوالد إلى غير نهاية، ولا جواب حاسم حقاً. بداية يكون فيها المرء راضياً بالعالم كما يتبدى له، ثم تأتي الحاجة إلى البعيد، فيقف المرء عند الحدود طارحاً الأسئلة فيتوحد الناقد مع الفيلسوف. وقد وصف غوته سابقاً العلاقة بين الأدب والشعر منه خاصة والفلسفة بأنها علاقة حاجة، أي أن أشد ما يحتاجه الشاعر مناخ فلسفي يتمثل بأفاق الفيلسوف ورؤاه التأملية لا بالمفهوم والمنهج البرهاني في القياس الصارم الذي إن تبناه الفيلسوف خسر طراوته وأصيب بالجهالة وغموض المعنى، كما يقول الباحث عبد الرحمن محمد القاعود.

النقد والروح العلمية:

العلم معرفة نسبية اجتماعية، ولعل أهم ما يميز هذا العصر، عصر التفجر المعرفي والإنجازات التقنية الشديدة التطور تأثيرهما الشديد على مختلف نشاطات الإنسان، منها الآداب والفنون المختلفة.

تلقي هذه المنجزات بظلالها على وقائع ومظاهر الحياة، فأى تفسير أو حكم على نشاط ما من نشاطات البشر هو ناتج بشكل أو بآخر عن مقاييس علمية كلياً أو جزئياً، فالعلم من حيث أنه أصبح أداة العصر وعنوانه فهو نفسه لم ينبج من صيرورته وتطوره واستلهاً نتاجه. وفيما يخص بحثنا فإن ما أصاب البحوث الفلسفية من نظرية المعنى في الاستخدام التي تقول: إن معنى الكلمات والعبارات ليس ثابتاً، بل متغيراً. المقصود بطريقة استخدام الكلمات الجو المحيط أو المصاحب للكلمة التي تحملها معها في أنواع الاستخدام. هذه النظرية أهميتها تتجلى في أنها تطرح مفهوماً نسبياً متغيراً لمعنى الكلمات والعبارات. "2" ومن جهة أخرى فثمة حكم يتعلق بمسألة اليقين التي كانت تتردد مع كل إنجاز علمي جديد، فإن هذه الفكرة فقدت زهوها حتى في مجالات أكثر العلوم دقة (اليقين أن لا يقين). ينطبق ذلك على الآداب والفلسفة والمنطق.

فالمقاربة بين النقد الأدبي وغيره من نشاطات الإنسان مع العلوم الحديثة أصبحت واقعاً لا مفر منه إلا إليه. يقودنا ذلك إلى انفتاح النقد والنشاطات الأدبية الأخرى على مناهج البحث العلمي وإن بدرجات من حيث البعد أو القرب من هذه المناهج. فتأثر الأعمال النقدية بتلك المناهج بدأ بالظهور منذ القرن التاسع عشر خاصة مع انتشار نظرية النشوء والارتقاء وما أفرزته من أبحاث في تطور الكائنات الحية وما رافقها من طرائق بحث



رحيل الأديب عبد الناصر الحمد

- رعى اتحاد الكتاب العرب رحيل الأديب الشاعر عبد الناصر الحمد عضو اتحاد الكتاب العرب، عضو جمعية أدب الأطفال. من مؤلفاته:
- (أ). الشعر - 1. تراتيل لفيان الدمشقي - دمشق
2. ملائكة من ورق - دمشق
- (ب). الشعر الشعبي - 1. يا غريبة - الناصر الحمد. دمشق
2. دفتر الغزل - دمشق
3. دفتر المولية - دمشق
- (ج). الكتب - 1. معجم صفات النساء - الكويت. 2001
2. فرسان من الصحراء - الكويت - 2002
3. مختارات من الشعر الفارسي - طهران - 2000
- رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأسرة تحرير «الأسبوع الأدبي»، يتقدمون بأحر التعازي من أسرة وذوي الأديب عبد الناصر الحمد.
- راجين الله عز وجل أن يتعمد الفقيد بواسع رحمته ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

المأساة اليونانية قراءة مختصرة في سيكولوجيا القتل أنموذجا (أسطورة ميديا)

• أسيل حمدي موصلي



يشير مفهوم علم النفس الاجتماعي بحسب معجم «ويبسترس» إلى أنه العلم الذي يدرس مدى تأثير الفئات الاجتماعية المحيطة بالفرد على شخصيته وسلوكه ومواقفه ودوافعه (1) وبحسب عالم النفس «جوردون أولبورت»، فإن علم النفس الاجتماعي هو أحد فروع علم النفس والذي يهتم بدراسة كيفية تأثير الآخرين على الفرد من حيث تكون المشاعر والأفكار والسلوكيات، فهو يبحث بمدى تأثير البيئة الاجتماعية التي يولد أو يتواجد فيها الفرد عليه نفسه، فعلى سبيل المثال يختلف سلوك الإنسان عند تواجده مع محيطه من أصدقاء ومقربين عن سلوكه أثناء تواجده في عمله مع مديره أو بعض من زملائه في العمل، ولا يقتصر علم النفس الاجتماعي على دراسة تأثير البيئة الخارجية على الإنسان وإنما يمتد ليشمل مدى تأثير الطريقة التي يرى فيها الفرد الآخرين والطريقة التي يعتقد بأن الناس تنتظر له فيها (2) كذلك في الوسط البيئي الصيق (الأسرة ومشكلها وخاصة المشاكل العائلية الخاصة جدا - وكذلك الحي السكني - المدرسة... إلى أخ)

من أهداف علم النفس الاجتماعي: هناك أهداف كثيرة التي يسعى إلى تحقيقها نذكر منها على سبيل المثال: (يهدف علم النفس الاجتماعي إلى محاولة فهم السلوك الاجتماعي والعوامل التي تؤثر فيه وتجعله ممكن الحدوث أو حدث فعلاً، فعلى سبيل المثال ما الذي يجعل الناس هادنون أثناء الاجتماعات الرسمية. أو ما الذي يجعلهم غاضبين فيثورون - يهدف علم النفس الاجتماعي للوصول إلى القدرة على التنبؤ بالسلوكيات العامة والخاصة والظواهر الاجتماعية استناداً إلى معرفة العلاقات التي بينها، فمثلاً الطالب الذي يأتي من خلفية اجتماعية هادنة ومهذبة يسهل التنبؤ بأنه سيكون هادئ ومهذب أيضاً داخل المدرسة. يهدف للوصول إلى نتائج حقيقية ومطابقة للواقع والتي تساعد على ضبط السلوك الاجتماعي للأفراد والتحكم، والطالب الذي يأتي من وسط اجتماعي ضيق إلى حد التأثير الكبير عليه (مثلاً - علاقات أسروية فاسدة - فقر كبير جدا يؤدي أو يسهل الجريمة والجونح إلى الضياع والتشرد... إلى أخ)

أسطورة ميديا.. خاتنة أم مظلومة (3)؟
من الأساطير الإغريقية وهي تعبر عن تحول المرأة من كائن رقيق وديع إلى آخر شديد القسوة والشراسة. وقد أنسناها، وحولها الشاعر «يوربيديس» (4) من طقس أسطري، ونظّمها في عمل مسرحي شهير سنة 431 ق.م. تحكي الأسطورة عن ميديا تلك الفتاة الساحرة والريّة التي أحببت شخص يدعى «جاسون»، وهو من أعداء وطنها، وفي سبيل حبها له خانت وطنها، وباعته للأعداء وساعدت حبيبتها على قتل أبيها وأخويها الأطفال وقامت بتقطيع أجسادهم أشلاء ورمت بها إلى البحر ثم هربت معه ليتزوجها وتقضي معه حياتها وأنجبت منه طفلين. ولكن مع الأيام بدأ حب هذا الزوج يخبو حتى كف عن الاهتمام بها، وأصبح لا يرمقها إلا بكره واحتقار. وفي أحد الأيام علمت ميديا بنية الغدر التي بيثها لها زوجها فقد قرر الزواج من أخري هي ابنة الملك كريون ملك «كورنثة» (5)، لأن ميديا في نظره ما هي إلا حقيرة خانت أهلها ووطنها ومن الممكن أن تخونه هو الآخر في أي لحظة. وهي أيضاً ملعونة من الآلهة، أنها أحقر من أن تظل زوجته سوف يتزوج من غيرها ويأخذ الأطفال منها ويتركها هكذا ذليلة مثل كلاب الشوارع، ولن يكثر لها أحد.

جن جنون ميديا وقررت الانتقام من هذا الزوج الخائن وفي اليوم التالي وقفت أمام زوجها على شرفة القصر، وأمام عيني زوجها الذي كان يستعد للزواج من أخرى، دبحت أمامه طفلها الصغيرين في حقد وكره لا مثيل لهما قط وقطعتنهما ورمت بالقطع من أعلى شرفة القصر، ومن أجل أن ترى في عينيه دموع القهر والمرارة، وليحرق الانتقام والحقد قلبها الأسود.

الكثير من علماء النفس المجتمعي قاموا بدراسة مثل هذه الظواهر من مثل (مأساة إكترا لسوفوكليس (6) و مأساة سيدتي الجميلة لبرنارد شو (7)) وغيرها، وبينوا مقدار الأثر النفسي ومدى درجة انعكاساته على دواخل النفس البشرية، والية التحول التي من الممكن أن تختار طريقاً متطرفاً مرعباً يصعب التحكم به والسيطرة عليه (فميديا) تمثل هذا الجانب من التحول الخطير الذي لا يمكن ضبطه أن شخصية | ميديا | تتحول لساحرة سيكودرامية تتحمل إسقاطات كثيرة وعميقة وخصوصاً في علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي وغيرها من علوم النفس الأخرى. وقد درسا الغرب دراسة مستفيضاً، وأخص نخبة من علماء الألمان حتى وصلت إلينا ميديا إلى العصر الحديث كأحد رموز التحرر الأنثوي من السلطة الذكورية بل ويستخدمها البعض رمزا للصرح الجنساني أحياناً مثلما استخدمها | جاري | و | ابولونيير (8) | في تحليل مأساة «المستجيرات»

و الصراع الجنساني قد يكون أحد شواغل الذي يميل في أغلب الأحيان لصالح المرأة فمصطلح اللبيدو وشهوة الضد (وغربها) يثيران فرغ المرأة وخاصة المرأة المتجربة (ميديا صاحبة مواصفات تجعلها لا تقبل المنازلة وهي المرأة الريّة والساحرة التي يهابها الجميع وهذا أولاً أما ثانياً فيمكن بالغريزة المركبة (فميديا) رأت في مواصفات جسم زوجها الفضلية ذات التقاطيع الجمالية حالة ستنبي عليها سر قوة أولادها من أمثال العظماء من «كريون» و«تياهي» يربووتيتها من أن إنجابها كان فلذة عظام. أما الزوج فهو على عكس ذلك فهو يعلم تماماً من هي (ميديا) - اسقراء نفسي -.. لأن ميديا في نظره ما هي إلا حقيرة خانت أهلها ووطنها ومن الممكن أن تخونه هو الآخر في أي لحظة. وهي أيضاً ملعونة من الآلهة، أنها أحقر من أن تظل زوجته سوف يتزوج من غيرها ويأخذ الأطفال منها ويتركها.

الهوامش:

19 Edited. 2019-3-(1) "social psychology", www.merriam-webster.com. Retrieved 19
An Overview of Social Psychology", 2018-02-Kendra Cherry (05

(2)- 12 Retrieved www.verywellmind.com. Edited. 2019-04-20. Zينة صالح، علم النفس الاجتماعي، صفحة 4.5 بتصرف

(3)- راجع كتاب الجيب العدد / 150 / كانون الثاني 2020م 0 إصدار اتحاد الكتاب العرب بدمشق- تأليف د.حمدي موصلي
(4) - يوربيديس ولد في غمرة انتصار اليونانيين على الفرس في معركة سلاميس سنة 480 ق.م. كتب 92 مسرحية وبعض المراجع تذكر 75 مسرحية لم يصلنا منها إلا 19 مسرحية بينها ملها واحدة والبقية مأس... نذكر بعض المسرحيات: الكستيس 438 ق.م. ميد يا 431 ق.م. تنويج هيبولوتوس 428 ق.م. الطرواديات 415 ق.م. هيلينا 412 ق.م. أورستيس 408 ق.م. وماس أخرى مجهولة التاريخ مثل: أندروماخي، و مسرحية جنون هرقل وغيرها- راجع قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران ص 267. حتى صفحة

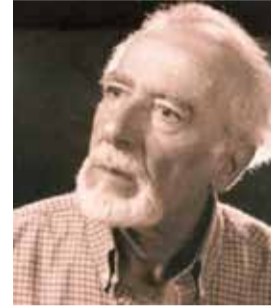
271 -زاجع كتاب سياسة في سيكولوجيا المسرح - د.علي عقلة عرسان - منشورات اتحاد الكتاب العرب 1978 ص 60-61
(5)- مدينة يونانية.. العاصمة أو مركز الإمبراطورية القديمة- راجع قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران ص 263/262 اليونان

(6) -.../يقول سويداس أن سوفوكليس نظم مائة وثلاثاً وعشرين مسرحية وقد وصلنا من أعماله سبع مسرحيات ليس غير/أوديب الملك. أنتيجونا 442 أو 441 تاريخ عرضها. الكترا. إياس. أوديب في كولونا. المرأة الترافينية. فيلوكتيس/.../ ولادة سوفوكليس عام 495 ق.م. في قرية كولوناس قرب أثينا في الفترة التي ازدهرت فيها اليونان في شتى الميادين. - راجع قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران ص 267. حتى صفحة 276

(7)- التي قدمت في العشرينيات في القرن العشرين (1928) عن النت - موقع
(8) - المستجيرات هي أقدم الماسي التي نظمها أسخيلوس وتتألف من ثلاثة أجزاء/ مفقودة عدا الجزء الأول.../ راجع/أسخيلوس. مسرحيات. ترجمة أمين سلامة. مكتبة مديولني القاهرة ص 18. ط أولى 1989م./

الروائي حيدر حيدر .

• بدر إبراهيم أحمد



هل كنت أتوقع يوماً أن ألتقي هذا الرمز الأدبي الكبير؟! وهل كنت أصدق أنني سأحاور مبدع "وليمة الأعشاب البحر"، "شموس العجر" و"مرايا النار"؟! فجأة، كان هذا الرجل في تناول العين والقلب..

منذ فترة وأنا أعمل على تحقيق أو استفتاء ثقافي عن "جدوى الكتابة" في نهاية القرن العشرين وعلى أعتاب الألفية الثالثة حيث بات المادي والالكتروني يسيطر على جل حياتنا. وكان أن برز اسم الكاتب أمامي من ضمن الكتاب الذين يمكن أن يغنوا الاستفتاء..

قبل لي إنه يسكن في بصيرة، وإن زيارته ممكنة جداً.. كانت الزيارة حلمًا.. نزلت تحت العجر، جسر حصين البحر على طريق طرطوس باناس واتجهت غرباً نحو البحر. مشيت تقريبا 500 متر قبل أن ألتقي رجلاً عابراً:

- أتعرف منزل الكاتب حيدر حيدر؟
قال الرجل: تمشي عشرين متراً ثم تأخذ يمينك- طريق فرعية- تمشي فيها حتى تجد على يسارك بستان ليمون، في نهاية البستان درب صغير نهاية الدرب تجد بوابة تقودك إلى بيته...

لا أظن أنني شكرت الرجل فلقد كنت أتوق لدخول ملكوت صاحب الوليمة... طريق ترابي ضيق في مواضع كثيرة منه تحيط به أشجار الشربين ونباتات القصب وقناة للمياه..

عندما أصبحت في الدار، نبح كلب مربوط ولم يخرج من المنزل أحد. واصلت التقدم.. الباب مفتوح ومن خلاله رأيت جداراً ممتلئاً بالكتب فأدرت أنني وصلت الهدف.. ومع أن نباح الكلب تواصل، لم يخرج أحد..!

عندما تجاوزت العتبة، رأيت طفلاً صغيراً لم أعرف إن كان صبياً أم بنتاً لوسامته وطول شعره. ما إن رأيته الطفل حتى اندفع إلى الداخل وسمعته يكلم أحداً ما..

بعد لحظات، سيخرج رجل لا تحطئه العين، إنه هو.. صاحب حكايا النورس المهاجر.. بادرت بالسلام فرد مرحباً. ثم عرفته بنفسه فرحب بي من جديد ودعاني للجلوس ريثما ينهي إفطاره:

- هل تفطر معي؟
- صحة وعافية..

سألت الطفل محاولاً معرفة إن كان صبياً أم بنتاً: ما اسمك؟

- ردد

يا االله... إذا هذا هو حفيده ورد الذي أهدها روايته الأخيرة "شموس العجر": إلى ورد حيدر، دنغو أفندي، طفل الشمس ووريث التنوير والحرية والأمل..

بعد انتهاء وجبة الإفطار، سبأني إن كنت أحب أن أشاركه شرب الشاي أم يعد لي فنجان قهوة! وافقت على الشاي.

جلس، وكان قد ارتدى ملبسه الرسمية، إذ كان لحظة وصولي يرتدي "شورت" على جسد نحيل أسمر خط البحر عليه بعض الذكريات.. رحلت أستطلع المكان.. غرفة تزدهم بالكتب المرتبة ترتيباً لافتاً يفرض الإعجاب والدهشة... لوحات وصور شخصية وغيرها.. هدايا وتذكارات..

بدأنا الحديث عن روايته الأحدث: "شموس العجر"، عن الإرتداد الذي يحدث فيها، عن تحول البطل من العلمانية إلى الدينية وسقوط القيم والمبادئ والإتكفاء إلى ماهو غيبي. ثم تحول الحديث إلى روايته "وليمة الأعشاب البحر" والكتابة بشكل عام..

وحيدر حيدر، ابو مجد، وجدته عكس ما

قرأت عنه في حوار مع صحيفة الاتحاد الظبانية مؤخراً كان قد أجراه الصحفي السوري نبيل الملحم الذي عرف ببرنامجه التلفزيوني "شخصية وظلال" ..

الكاتب حيدر غير منعزل في منزله في وطى البحر: "أخرج دائماً إلى

المدينة لشراء الحاجات، وإلى المحافظات حيث الأصدقاء، وإلى دمشق حيث ابني الدكتور مجد الذي افتتح دار ورد للنشر.. لكنني منقطع عن النشاط الثقافي في ندوات وأسميات.. هنا بيتي واستراحتي.. هنا كرتي ودفاتي.. أقرأ.. أكتب.. أخرج إلى الصيد.. يأتي الأصدقاء فنجلس ونتحدث ونشرب.. يمكن أن نتحدث في كل شئ سوى الكتابة أو الأدب.."

سألته: نبيل الملحم قال في مقدمة الحوار معك إنك شبه منعزل لا تقرا سوى الروايات الأجنبية!

ضحك: "نبيل لم يكن مصيباً في كل مساقه عني.. انظر.. هذه آخر اصدارات المجلات والكتب التي تنشر.. قد أكون بعيداً نوعاً ما عن الصحافة اليومية.. لكن ابني مجد والأصدقاء يزودوني بكل جديد، كما يرسلون لي الصحف والمجلات التي تتناول كرتي أو تتحدث عنها.. عدم متابعة الصحف يعود لضيق الوقت وليس غير ذلك.."

وقت ثمين كان يمضي.. عالم من السحر والغنى ماكنت أود الخروج منه. وكاتب يكبر في عينك بعد أن تعرفت إليه وعلى حياته الخاصة وطريقة عيشه البسيطة.

أحياناً، كان يتخلل حديثنا، حديث آخر مع حفيده ورد الذي يطلب شيئاً ما، فينهض الجسد الستيني ليلبي طلبه أو ينهره طالبا منه الصمت "نحن نتحدث" أو قد يناوله من فوق أحد الرفوف، غليوناً أو مزماراً أو خنجراً يقول عنها إنها هدايا من الأصدقاء.. وعندما فاتحته بموضوع الاستفتاء الأدبي، نهض "ساعد القهوة". أثناء ذلك، تشاغلته في معاينة رفوف الكتب المترعة بالقصة والشعر والرواية والتراث.. حول تلك الرفوف صورة له، رسماً، أو صور لكاتب من قبيل: جبران، جان جينيه، لئنين.. وهناك صور لحيوانات وغيرها.. أجد أيضاً مجلة العربي الكويتية في عدد حديث..

بعد مناقشة الاستفتاء الذي اكتفيت بتدوين رؤوس أقلام فقط على أن أعيده من الذاكرة فيما بعد، عدت إلى البداية وقلت له: لم أتوقع أن أحداً هنا سيرفك لو سألت عنك، وأردفت: كما لم أتوقع أن ألتقيك بهاته السهولة!! أجاب وابتسامة رائعة ترسم على وجهه:

- الكل يعرفني هنا بـ "الكاتب" .. وكثيرون يعرفونني جيداً.. فلان ابن فلان.. لست في برج عاجي، وكل من يدخل بيتي يخرج منه صديقاً، أنا في الكتابة كاتب وأنت قارئ.. هنا، خارج الورق، نحن لا نختلف، إنسان مقابل إنسان..

وتتري الأسئلة، والكلام يدفعه الكلام، وإذ تحين المغادرة،

تنتابني الحسرة لأنتي سأعادر هذا الحلم الذي غدا واقعا..

عزائي، حسن الضيافة وحصولي على تلفونه و "أهلاً وسهلاً بك.. تعال متى شئت" ..

جمعنا لقاء ثان بعد اسبوع لكن الهجمة الظلامية عليه في الصيف نفسه من قبل جماعة إخوان مصر بخصوص الوليمة جعل عالمه بعيد المنال...

شقة على شارع النيل رواية التفاصيل الممتعة

• محمد الحضري

قد يبدو هذا العنوان مغريباً، وغريباً على القارئ على وجه العموم، والقارئ السوري على وجه الخصوص، وخاصة حين يضع هذا العنوان ابن مدينة عتيقة موعلة في حضارتها ومعالمها كمدينة حلب الشهباء البعيدة جغرافياً على الأقل عن نهر النيل.

وهذا الاستغراب سرعان ما يتلاشى ويذول حين نذكر حلب الأصيلية والعريقة التي قدمت الكثير في مجال الفكر والأدب والفن، وفي مناحي الحياة كافة، كما قدمت كوكبة من الأسماء التي ترفع لها القبعات على صعيد القصة والرواية والمسرح، ومنهم الأديب الدكتور أحمد زياد محبك مؤلف هذه الرواية.

وإذا كان العنوان هو المفتاح التأويلي لأي نص، وهو العتبة الأولى للولوج إلى المنتج الإبداعي، فهو في الآن ذاته أكثر شيء يثير في داخلنا الأسئلة التي تتمكن من الإجابة على بعضها، ويبقى غيرها معلقاً نحار في تفسيره، أو هو بالأحرى قابل لأكثر من تأويل. وهذا بالتالي يدفعنا لسؤال لماذا هذه التسمية بالذات؟ لأن هذه الشقة بالفعل تقع على شارع النيل في مدينة حلب؟ أم لأن حكاياتها تشبه في سيرها حكايات أهل النيل؟

تبدأ الرواية بسرد سير أبطالها "أبو سامر، سامر، أم جميل، أم وائل، أبو وائل وغيرهم حيث تهيم عليها أجواء مدينة حلب، وربما يكون زمنها قبل الأحداث التي عصفت ببلادنا بفترة قليلة، نلاحظ ذلك في أول صفحات العمل من خلال استعراض الأسعار التي ينادي بها باعة "البسطات" في ساحة سعد الله الجابري "أمشاط، برايات، أقلام منوعة، ملاقط لتثبيت الغسيل على الحبال، مريا صغيرة، شفرات، كؤوس بلاستيكية، ألعاب أطفال، دفاتر صغيرة، قداحات، شوكات، ملاعق، سكاكين، قراظات أظفار" يتتالي صوت البائع "أربع قطع بمئة ليرة" ومن خلال هذا الاستعراض نلاحظ أن الكاتب يعنى بأدق التفاصيل وأصغرها، لكنه بالمقابل يجعل حواراته في بعض الأحيان محملة بمقولات كبيرة: "أنت تذكرني بموسوليني وهتلر، هل تريد مثلهم امتلاك العالم والسيطرة عليه وحكمه؟".

هم دفعوا أكثر من خمسين مليون من الأرواح ثمن قطع من أراض استولوا عليها ثم خسروها، بل خسروا كل شيء. من جهة أخرى تعد هذه الرواية بمثابة خريطة جغرافية للمدينة بادناً بذلك من موقع تلك الشقة التي حملت عنوان الرواية حيث يقول أبو سامر في مدحها ومرغبا الزبون الذي يريد لها: "هنا أمامكم شارع النيل، منظر ولا أحلى منه، شارع طوله خمسة كيلو مترات، يمتد حتى جمعية الزهراء، شارع مليون بالحركة والحياة، تقعد أمامه عشر ساعات ولا تمل. البلدية سمته شارع النيل لأنه مثل نهر النيل في مصر، كله حركة وحياة وأنت قاعد في حلب وشارع النيل أمامك، كأنك قاعد بمصر ونهر النيل أمامك" وتلك المقولة السابقة



تكشف ذكاء الكاتب وبداهته حين يذكر لنا أسماء الشوارع والحارات، ويبرر لنا أسباب تسمية شارع النيل في حلب، ومنجزه الإبداعي الذي حمل الاسم ذاته.

ومن خلال هذه الشقة يستطيع الكاتب أن يصور لنا حلب وجمعها بين يديه ويقنع من يسكنها بأنه من ساكني الجنة كما ورد على لسان بطله حين أشار جنوباً: "وهذا شارع فيصل يمتد على طوله، ومن هنا ترى الحديقة العامة وساحة سعد الله الجابري والفندق السياحي، لولا الأبنية لرأيت قلعة حلب والضرافة وجب القبة والصالحين وباب النيرب. وما ذكرنا يعتبر غيض من فيض الأسماء التي تذكر في هذا العمل.

تصور الرواية واقع المدينة بعد أن تسلس إليها الإرهاب وخراب حياة أهلها الهائلة ورغد عيشهم، وذاك الجسر، أو الممر الذي قسم المدينة إلى نصفين كان يجب على من يعبره أن يكون بسرعة البرق حتى لا يطاله رصاص القناصة الذي يصطاد كل يوم عدداً من السكان الأبرياء. ومع ذلك صمدت المدينة وبقيت حلب تلك البهية الراسخة التي لا تهزها الرياح، ولا تقتلعها العواصف، فالحيوة أقوى من الموت، كما يرى مبدعها الذي يعلن ذلك على لسان أبو جميل أحد أبطال هذه الرواية.

يبني الدكتور أحمد زياد محبك مداميك روايته على تفاصيل مجتمعه الحلبى العريق بمحاله، وأسواقه، ودكاكينه، وشوارعه، وحاراته، وعاداته وأطعمته المفضلة، ليقدّم لنا نصاً متناغماً تعددت مستوياته السردية وأحداثه ولغة أبطاله، لتبدو لنا لوحاته التي تحمل الكثير من العناوين الداخلية وكأنها مروج أزهار تتماوج حسناً وفرادة وطيباً، وإذا كانت الرواية تنتهي باستشهاد الطبيب الجراح جميل على طريق حلب، ففي المقابل فإن والده يتصل بشقيقته التي اقتربت موعد ولادتها طالباً منها أن تطلق اسم جميل على مولودها القادم، ثم يؤكد عليها ذلك بقوله "جميل حلب" وتكون هذه العبارة آخر ما كتب في رواية شقة على شارع النيل تأكيداً من الكاتب على الثبات والأمل، وحمية انتصار الحق على الباطل وأعوانه.

• د. حسن حميد

البؤساء.. أخيراً

بلى،

منذ زمن بعيد لم أتمتع بقراءة رواية مثلما تمتعت بقراءة رواية فيكتور هيغو (البؤساء) التي ترجمها باقتدار زياد العودة، ليس لأنها كاملة لم تصبها يد الاصطفاء والحذف والتحجيد بأي مس، وإنما لأنها ترجمة رائعة، وإن كانت لا تخلو من بعض الهنات هنا وهناك لأن حجم الرواية كبير، وتكاد تكون موسوعة تاريخية واجتماعية ومكانية وأدبية وفنية وكان فيكتور هيغو لم يكتب سواها، أو لكانه جعل منها حجر الزاوية لعمارة الأدبية كلها.

في الرواية طواف مكاني عجيب يشمل مناطق عدة من الريف الفرنسي لجلو ما فيه من مشكلات وعثرات وغضات ظاهرة جلية، وما فيه من أحلام ورغائب وغايات مكبوتة مستبطنة، وهو بهذا الطواف في الريف الفرنسي رسم صورة وافية جداً لما يحتاج إليه الريف كمكان، وما يحتاج إليه الناس كأهل فطرة وحس إنساني، ولأن الأرياف، في كل بقاع الدنيا، هي أوسع وأكبر من المكانية التي تشغلها المدن فإن تسليط الضوء عليها لمعرفة هدف الجوهرى لهذه الرواية كيما تتكامل الحياة وتتوازى، في كل شيء، ما بين الأرياف ومدنها، وهذا ما أراد فيكتور هيغو وهو ينتقل عبر سرد رهيف، دقيق، شامل في الرؤية والإحاطة والغاية، ما بين المكان الريفي والمكان المدني كي تتلاشى مسافة الفروق الكبيرة ما بين المكانين.

وفي الرواية طواف زمني عجيب أيضاً فهو يتقصد البقع الأرجوانية في التاريخ الفرنسي، فيفرد صفحات طوالاً للحديث عن باريس وتطورها العمراني، وعائلاتها، وتأثير ثورة 1789 فيها، وما تركه الملوك والأباطرة التي حكموها من آثار، وقوانين، واشتقاقات أرادت الأخذ بأيدي الناس، والتركيز الأكبر على شخصية نابليون بونابرت بوصفه الشخصية الأكثر تأثيراً في الوجدان الفرنسي، لأن الرواية تشير بوضوح إلى أن فرنسا كانت دولة مسالمة، ورقيقة، ورهيفة، لا صولات لها ولا جولات في المناوشة مع الآخرين، أعني الدول، عبر طريق الحرب والمواجهة، وأنها عرفت هزائم كثيرة في حروبها، لكنها في عصر نابليون بونابرت ارتدت درعا جديدة، هي درع الحرب فهددت وغضبت، واحتلت، واغتصبت، وأبدت القوة الفرنسية، فقد كانت لبابة مشروع نابليون بونابرت هي إخضاع العالم للنموذج الفرنسي لأن فرنسا مؤهلة لقيادة العالم، ولا سيما بعد أحداث الثورة الفرنسية وما جاءت به، وما حملته من أحلام عام 1789، ولهذا ستظل الروح النابليونية جلية في الرواية على امتداد صفحات كثيرة من صفحاتها الألف، وسنرى إعجاب فيكتور هيغو بـ نابليون بونابرت كبيراً، وهو يقدم لنا شخصيات تديم الحديث عن نابليون ويتقدير واحترام كبيرين.

وفي الرواية طواف عجيب كذلك في بيوت الفرنسيين لاستبطان الحال الاجتماعية، وما يعانيه الناس منه، ولا سيما في الأرياف، وبعض المناطق المهمشة في المدن، وخصوصاً في أوقات البرد، وموسم البرد في بلاد الفل طويل وموجع ويأخذ الناس الذين لا يمتلكون وسائل التدفئة والإنارة والنياب الدافئة بالعثرات، كما تقدم الرواية صورة مهمة عن الدواخل الفرنسية، حين يتحدث عن الأديرة والكنائس وما يحدث فيه من تراتبية صارمة تجعل العيش تكراراً مملاً، وحيوة تتحرك ببضع شديد نحو الموت لا نحو الحياة، وحين يتحدث أيضاً عن السجون وما يحدث فيها، وما يتحكم بها من قوانين، وما يلغها من ظلم، وما يعيشه السجناء من قسوة تود أن تأخذهم إلى الموت أيضاً، وليس إلى التربية، وتعلم فنون الحياة، والتهديب، ومعرفة القوانين، فهنا في السجون، وهناك في الأديرة يعيش من هم بداخلها حياة تشير إليها الظهور المحنية، وكأنها تبحث عن الحضر للتواري أو عن القبور لتدفن، كما تتحدث الرواية عن الدواخل المستبطنة في ملاجئ الأيتام / واللقطاء، وسوء الحال المعيشية، والتربية التي لا تعرف قيمة للطفولة، والمعاملات التي لا تعطي بالاً لعالم الطفولة الذي إن حسن حسنت الحياة كلها، وحالات التشرد، وأعداد اللقطاء الكثر الذين تنشق عنهم صباحات باريس، وبعض المدن الفرنسية الأخرى، فتذكر الرواية عديدهم في كل صباح، وتتخوف من هذه الأعداد المتكاثرة يوماً بعد يوم، وتتحدث الرواية عن دواخل النفوس التي تعيش في عالم اجتماعي، مثل الكنائس أو الأديرة، أو السجون أو الأرياف وهي تفكر بالحياة وسط المجتمع، وفي عالم من الحرية بعيد عن الأوامر والعنف والجوع والبرد وقلة الاهتمام. إذا، ليست شخصية جان فالجان هي كل رواية (البؤساء) كما قرأنا في الترجمات المتبورة التي عرفناها مرات ومرات، وليست هي شخصية الطفلة (كوزيت) وأما (فانتين)، ولا هي شخصية (جافير)، لأن الرواية غاية من الشخصيات التي لا يستطيع المرء القول إنها عادية أو ثانوية، فالشخصيات كلها لها أدوارها وتأثيرها في تغيير مسارات الأحداث.

إن شخصيات مثل: ميريل، شانماتيو، غوريو، ماريوس، جيلنورمان، مابوق، تيناروييه، فوشلان.. إلخ هي شخصيات فاعلة وحاسمة في تغيير الأحداث وتطويرها، حتى الشخصيات المتوارية في الظل داخل المقاهي والفنادق والأديرة والسجون هي شخصيات ذات حضور ومكانة داخل أحياء الرواية.

أما التقنيات الروائية، فإن فيكتور هيغو لم يبق على وسيلة أو أداة أو طريقة تعبير إلا واستخدمها في هذه الرواية، فهو في هذه الرواية السارد العليم، والسارد المخمّن، والسارد المتخيل، والسارد الراوي للأحداث التي رآها وعاشها، وهو كاتب السيرة الذاتية، وكاتب الرسائل، والمواهب بالأخبار من قصصات الصحف، ووثائق المحاكم، والكتب المحفوظة في الكنائس والأديرة، وهو المسجل لفتاير الفنادق، والمطاعم، والمقاهي. وهو العارف بما تأخذ البيوت التي تربي أطفالاً للآخرين، وما تفرضه تلك البيوت على أهل الأطفال من ضياع، وأمور خلال فصل الشتاء الطويل في فرنسا خصوصاً أو تحديداً، والأسئلة الثقيلة والإجابات المعلقة ما بين الطرفين ولا سيما حين تسوء الحالات الاجتماعية، وتقل النقود بين الأيدي.

رواية (البؤساء) منجم كبير، ومهم، ومضئ لأنه يعرف القارئ بفرنسا وهي في ضفتيها الأرياف والمدن، وفي ضفتيها الغنى وال فقر، وفي ضفتيها السعيد والشقي، وفي ضفتيها الظلم والعدل.. إلخ، وهي منجم كبير لتعلم كتابة الرواية والمؤيدات لنجاحها، والوحدات الداخلية أو العناصر التي لا بد من حضورها لتصوير الرواية رواية (البؤساء) لا يوجد فيها مشهد لعلاقة عاطفية واحدة، ومع ذلك هي على غاية من الجذب والاستحواذ على القارئ، وفيها من الأحزان ما ينقل على القلب، ومع ذلك هي رواية جميلة لأن كتلة الأحزان الكبيرة أشبه بالظلمة، شمعة واحدة تبدها، وفي (البؤساء) لا توجد منتزهات، وأمكنة سياحية، وصالونات اجتماعية، ولا أسر أرستوقراطية، ولا بهرجة في العمران والآثار، ومع ذلك هي رواية فرنسية أرادت تقديم الحياة التي تنطبق عليها كلمة (البؤساء)، وحين يقرأ المرء الرواية سيقول صارخاً متفاجئاً: يا إلهي ما أكثر البؤساء؟! وأين؟! في فرنسا!

بقي أمر أخيراً وقوله، وهو أن المحذوفات من الترجمات الكثيرة التي تصدت لـ (البؤساء) لنقلها إلى اللغة العربية، باتت جلية لقارئ هذه الطبقة الجديدة والكاملة (للبؤساء)، وهي المتعلقة بفضول بعيدة في تعاقبها عن شخصية جان فالجان، وكوزيت، وجافير، لأن المترجمين عدوها بلا قيمة وغير ضرورية، وكذلك الفضول المتعلقة بالأديرة، والكنائس، والملاجئ، وحروب نابليون بونابرت، وتاريخ فرنسا..

لقد أرادت الترجمات السابقة أن تقدم القصة الاجتماعية / الخبرية عن جان فالجان وعلاقته بالطفلة (كوزيت) وأما (فانتين) فقط، وقد رضينا كقراء، في زمن تلك الترجمات بما وفرته لنا، لكن اليوم، وعبر هذه الترجمة الكاملة لـ (البؤساء)، ندرك كم خسرن حين قرأنا رواية منقوصة الفصول، وربما ندرك الآن من خلال هذه الترجمة أننا قرأنا ترجمات منقوصة للكثير من الأعمال الأدبية العالمية! وفي هذا غمط وإيذاء أدبي.

الظرف والطرفة والفكاهة

• أ.د. منى إلياس

الظرف والطرفة والفكاهة وما شابه ذلك من الدعابة والمزح كثر شيوعاً في الأدب العربي، فما هي هذه الألوان؟

الظرف كما يعرفه اللغويون هو حسن العبارة. وفي لسان العرب عند الأصمعي وابن الأعرابي: أن الظريف هو البليغ الجيد الكلام، وقالوا: إن الظرف في اللسان، واحتج بقول عمر بن الخطاب في الحديث إذ قال: «إذا كان اللص ظريفاً لم يقطع، أي لم يعاقب، ومعناه: إذا كان بليغاً جيد الكلام احتج عن نفسه بما يسقط الحد. ونظيرهذا كثير ممن استطاع أن ينجو من العقاب والحد الشرعي بسبب ظرفة وبلاغته وجودة كلامه. ومن هؤلاء كان ابن هرمة، وكان شاعراً ماجناً ومدمناً على شرب الخمرة، حتى شاع عنه هذا البيت:

أسأل الله سكرة قبل موتي

وصياح الصبيان يا سكران

وقد ابن هرمة المنصور مرة بقصيدة فسأله عما يريده جزاء على قصيدته؟ فقال: أن تكتب إلى عاملك في المدينة أن لا يحدثني إن وجدني سكران. فقال المنصور: «إن هذا حد، لا سبيل إلى تركه» فقال ابن هرمة: وأنا لا أريد غير هذا. فكتب المنصور إلى عامله بالمدينة: إن عليك أن تضرب ابن هرمة ثمانين جلدة إذا جاء به سكران، وتضرب من يجيء به مائة سوط. فكان الشرط يبرون به وهو سكران فيقولون: «من يشتري ثمانين بمائة؟» ويتروكوه.

وقال محمد بن يزيد: الظريف مشتق من الظرف، وهو الوعاء، كأنه جعل الظريف وعاء للأدب ومكارم الأخلاق، وفي تاج العروس عن الكسائي يقال: «وجه ظريف، ولسان ظريف، وقد أجاز قولك: ما أظرف زيد؟ في الاستفهام: ألسانه أظرف أم وجهه؟».

وقال رجل لأبي الأسود: «إنك ظرف علم ووعاء حلم، غير أنك بخيل» فقال أبو الأسود: «لا خير في ظرف لا يمسك ما فيه».

أما الطرف فهو قريب من الظرف، وشيء طريف أي طيب غريب، وعن ابن الأعرابي في لسان العرب: خير الكلام ما طرقت معانيه، وشرفت مبانيه، والتذته أذان سامعيه، وأظرف فلان إذا جاء بطرفة.. والأسم الطرفة بالضم: قال الفيروز أبادي في القاموس: «وامرأة طرف الحديث: حسنته، يستطرفه من سمه، ومن هذا ما جاء في نهاية الأرب: أن امرأة مرتبني نيمير فتغامزوا عليها فقالت: «يا بني نيمير، لم تعلموا بقول الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أو بقول الشاعر: «فغض الطرف إنك من نيمير فحجلوا» ونظير هذا من طرف المرأة ما روى الأصمعي وهو

أن عجوزاً من الأعراب جلست في طريق مكة يشربون نبيذاً، فسقوها قدحاً، فطابت نفسها، فتبسمت، فسقوها قدحاً آخر فاحمر وجهها وضحكت، وسقوها ثالثاً فقالت: خبروني عن نساتكم بالعراق، أي شربن النبيذ؟ قالوا: نعم، قالت: «زئبن ورب الكعبة» والله إن صدقتم فما فيكم من يعرف أباه.

والفكاهة هي التمر كله، وهذا قول أهل اللغة كما جاء في تاج العروس، ومن المجاز القول: فكهم بلج الكلام تفكيهاً، إذا أظرفهم بها، وقد فكه الرجل فكهاً وفكاهة، فهو فكه وفكاه أي طيب النفس ضحك، مزاح. ورجل فكه يحدث صحبه، فيضحكهم، والفكاهة المزاح. قال ابن منظور: رجل فكه وفكاه وفكهان: وهو الطيب النفس المزاح. وقد عزز الإسلام الفكاهة والظرف والبشاشة وأتكر العبوسة والتجهم في الكثير من الآيات القرآنية، وفي الكثير من الأحاديث المروية عن النبي وحلفائه وأصحابه، واعتبر العبوسة صفة الشذوذ الدخيلة على الصفة الإنسانية.

والفكاهة والظرف في مفاهيم الإسلام من صفات أهل الجنة. وخص الله أهل الجنة بصفة الفكاهة، وجاء ذكرهم في مواضع مختلفة في القرآن الكريم كما جاء في الآية: (في شغل فاكهون)، وجاء (إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين) وفي الحديث الشريف: «روحو القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كُلت عميت».

وفي حديث أنس على ما جاء في لسان العرب: أن النبي كان من أفكه الناس وعن عائشة، وقد سُئلت كيف كان رسول الله إذا خلا في بيته؟ قالت: كان ألين الناس، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحاكاً بساماً، وقال النبي: إنني لأمزح ولكنني لا أقول إلا حقاً.

وفي الروايات أنه كان لبعض الأنصار جارية سوداء، وأنها كانت تختلف إلى السيدة عائشة، فيجدها عندها فيضحكون جميعاً، وافتقدها النبي مرة فقيل له: إنها مريضة، فجاءها النبي فوجدها في غرغرة الموت، فقال لأهلها: إذا توفيت فأذنتوني، فلما توفيت آذنتوه، فشدها وصلى عليها وقال: «اللهم إنها كانت حريصة على أن تضحكني، فأضحكها مزحاً».

ومن صفات المؤمن في الإسلام أن يكون «هشاً بشاً» وكان الإمام علي مشهوراً بالدعابة وخفة الروح والفكاهة، حتى قال من لم يستغ الفكاهة: «لولا دعابة فيه» وقد أثر عن الإمام أنه قال: «من كانت فيه دعابة فقد برأ من الكب».

حب الوطن والعروبة في شعر الشاعر جورج سعدو (١٩٤٢ - ١٩٨٩م)

• أحمد سعيد هوش

ولد جورج بن يوسف سعدو في مدينة القامشلي (محافظة الحسكة السورية) وتوفي فيها، عاش في سورية ولبنان. تعلم في مدارس السريان الأرثوذكس ببلدة القامشلي، وحصل على الشهادة الثانوية 1962م، وشهادة أهلية التعليم الابتدائي، ثم واصل دراسته الجامعية من الخارج وحصل على الإجازة في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية عام 1972م، وبعدها عمل معلماً في مدرسة الحرية للسريان الأرثوذكس بمنطقة القامشلي بعد حصوله على أهلية التعليم الابتدائي، ثم عين معلماً للغة العربية في المدارس الحكومية عقب حصوله على إجازة جامعة بيروت العربية عام 1972م.

إبداعه الشعري:

له ديوان بعنوان «صرخة الحق»، دار اللواء - القامشلي (د.ت) وله قصائد في مصادر أخرى، وله دواوين مخطوطة، منها: «أنغام الحب» و«ميناء الأبدية» و«مواكب الذكريات» و«نقمة الاغتراب».

وله إبداعات أخرى:

- أعمال مخطوطة بالعربية والسريانية، منها: «التأملات» و«براشن العذاب»، إضافة إلى قاموس سرياني عربي.

عرف الشاعر جورج سعدو بنهجه الشعري، نهج الخليل في المحافظة على الوزن والقافية، وسخر شعره لحب وطنه سورية وأمه العربية، وعبر بشعره عن مواقفه الوطنية والعربية، وذلك بالإشادة بالمجاهدين والشهداء الذين دافعوا عن الوطن واستشهدوا في سبيله، في شعره روح ثورية، واعتزاز وفخر بأمجاد العروبة عبر التاريخ.

منحته نقابة المعلمين وسام أفضل شاعر في محافظة الحسكة، وأقيم له حفل تأبيني في كنيسة العذراء ببلده القامشلي عام 1989م.

أنشد الشاعر جورج سعدو ابتهاجاً في خوض حرب تشرين عام 1973م وانتصاراتها التي حققها الجيش العربي السوري، والجيش المصري، وعبور الخندق العميق في الجبهة الشمالية، وخط بارليف في الجبهة الجنوبية. فحيا الجيشين العربيين في سورية ومصر. غن قال من قصيدة «فرسان تشرين»:

أهلاً بأبطال تشرين الحمى بكم / فالنصر يفتقر عن إشراقة لكم
أرى ابتسامكم في الشقر حائلة / كأنها نغم التاريخ يبتسم

ذكر البطولة يحيا في ربا وطني / في المائة المائة المليون يا علم
أهلاً بأبطال تشرين العروبة يا / من ماد تحتهم التاريخ والصنم

وفي قصيدته «صرخة الحق» يشيد بتاريخ الأمة العربية المجيد، التي تأبى الضيم وتدافع عن حقوقها المغتصبة، من موقعة «ذي قار» وحتى تاريخنا الحديث وانتصرت على أعدائها في معارك الشرف، في حطين، وعمورية، وحرب تشرين إذ قال:

قم عنّ للجيل والأحفاد عن وطن / فلنعرف المجد في أرجائنا نغما
سقيناك يا وطني لا نعرف الندم / لا ننثني أبداً شبراً ولا قدما

في الساح يحفزنا إيمان معتصم / كنا وكانوا بساح الحرب معتصما
وفي قصيدته: «غضبة الفداء» يشيد بالفدائيين العرب الذين لقتوا جنود العدو الصهيوني دروساً لا تنسى في البطولة والشجاعة والفداء، والعمل على تحرير أرض السلام، والقدس الشريف من براثن شذاز الأفاق المعتدين إذ قال:

الحق يجار بالدعاء: فدائي / والسيف يزار في السماء: فدائي
ومرابعي مهد البطولة أحجبت / في الحسن زهو قرائم الشعراء

قد ضمخت بالتأر وجه مروجها / أن لست للشذاء للدخلاء

إلى أن قال:

أين البسالة والشهامة ثورة / لنحيلها ناراً على النزلاء؟

لبيك يا أرض السلام تحية! / يا مهبط الإلهام والإيحاء

وللشاعر جورج سعدو قصيدة نادرة في وصف مرضه الأخير الذي أودى بحياته، قالها وهو على سرير العملية الجراحية التي أودت بحياته، أودعها وصيته لقومه ولأمه وأبيه وهي تحتاج لدراسة خاصة.

إننا نفتخر بعلمينا الذين يقدمون لطلابهم المعرفة والعلم إلى جانب حب الوطن والأمة العربية.

المصادر:

1 - جوزيف أسمر ملكي: وجوه سريانية - موريات للطباعة والنشر، القامشلي 2000م.

2 - معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين. إعداد: هيئة المعجم، المجلد الخامس، الكويت 2008م.

3 - بعض المجموعات الشعرية للشاعر جورج سعدو.

تعزية

فجع الزميل حسام الدين خضور برحيل والدته في الأسبوع الماضي.

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي يتوجهون إليه بخالص العزاء.

راجين من الله عز وجل أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ويسكنها الجنة، ويلهم أهلها وذويها

الصبر والسلوان.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

نماذج من الأنوثة المستضعفة في الرواية السورية

• محمد قرانيا

على الرغم من تقدّم الزمن، وثقافة العصر، فإن حضور المرأة في الأدب يظل محصوراً في كينونتها المحددة بالاسم والصفة، التي يرسها لها المنظور الخارجي. لذلك انحصر وجودها في المخيلة العربية ب (نون النسوة) وب (تاء التأنيث) التي تدخل بيت الطاعة في مدينة (جمع المذكر السالم، والمتكسر) بغية تحقيق الرغبة، وكان الواقع العربي يتحرك، ويتشكل خارج إسهاماتها، في بلورة مكونات الحضارة.

إن الصورة التي تقدّم بها المرأة في الموروث الثقافي، كما يرى «د. عبد الله الغدامي»، تبين مدى الجهود التي بُذلت على مرّ العصور لترسيخ نمط معين من النساء. تتم قولته وفقاً لاحتياجات النظام الأبوي وعلاقاته الاقتصادية والاجتماعية، فعلى الصعيد الاجتماعي تتم إحاطتها بمجموعة كبيرة من الأساطير التي تسلبها كيانها الإنساني بما فيه من أوجه قوة وضعف. ويتجلى الإغلاء والتبخيس في مكانة المرأة عبر إسقاط العيب والعار والضعف عليها، فهي أداة للمجتمع المتسلط، وأداة للرغبات اللاواعية، وفي كلتا الحالتين لا يتم الاعتراف بوجودها بوصفها كائناً قائماً بذاته له غيريته وأصالته. ويرسخ ذلك عبر قوانين مدنية ودينية تقيد حركة المرأة وحرّيتها، وتحدّم أغراض المجتمع في السيطرة النفسية على كيانها لتحقيق الأغراض الأولى مما يحجم إمكاناتها الذهنية والإبداعية، وهي في الحالتين معاً تكون وسيلة للتبويض عما يعاينيه الرجل من تسلط وقهر في المجتمع المتخلف.

في كثير من الروايات، تصنّف المرأة في رأس الترتاب القمعي المجتمعي، لأن هذه الثيمة تنسجم تماماً مع بنية المجتمعات العربية التي تعيد إنتاج نفسها، في إطار النظام الأبوي الذي سيكون الامتثال والإقصاء أحد تجلياته، فالنساء ضحايا تنوب الذكورة عنهن وتتولى رسم أدوارهن المرسومة.

وهذا يصبّ في مصب الفكر الذكوري، الذي يرى أن الذات الأبوية في تصوّرها لنفسها هي كاملة ومطهرة، ونقية وموحدة، وأن الآخر المشوّه هو الأنثوي، أو ما يوازيه وينزل منزلته، وهنا تعمق الهوية الفاصلة بين تقسيمات النظام الأبوي وثنائياته، ومن ضمن هذه الثنائيات بالطبع ثنائية الخير والشر، حيث يبدو الشر العارم العاتي طاغياً ليتراجع الخير العاجز الضعيف.

إن «ياسمين» في رواية «بيروت (75)» ل «غادة السمان» كانت وعاءاً أنثوياً لتحقيق رغبات الذكورة التي تؤدي دورها، بألية تغيب عنها الملامح الإنسانية والحضارية، وقد بلورت حركتها وفق هذه الرغبات الشبقية، مبتعدة عن الإطار الطبيعي للهدف الذي خلق الإنسان من أجله، أو كما قال «د. عبد الله الغدامي» خارج اللغة، حين «راح مسار اللغة الثقافي، ينطلق بعيداً عن أصله المؤنث، وبهذا تحولت المرأة إلى (موضوع) ثقافي، ولم تعد (ذاتاً) ثقافية أو لغوية. راح الرجل يرسم المرأة، وينقشها في صور خيالية، تواترت عليها الأزمنة حتى ترسخت، وكأنما هي الشيء الطبيعي، وفي هذه الصورة، جرى تضخيم الجانب الحسي في المرأة إلى أن تحولت إلى مجرد جسد شبق. ليس له وظيفة، سوى إثارة الرجل وأغرائه.. على اعتبار أن (تاء التأنيث) جاءت كتزيينة للفعل (صفة الذكورة) أو عالة عليه، وتؤمن لهذا الفعل أريحية وجوده، بشكل من الأشكال، في وقت يكون هذا الفعل، وهو الأكثر، ولن يكون

التذكير أصلاً إلا إذا صار التأنيث فرعاً، ومن هنا، فإن (فلان) وليس (زوجة فلان) إن كنت تتحرى الفصاحة وبالأصالة» (1)

وتجاه حصر المرأة على هذه الصورة في السياق الاجتماعي الواقعي، أخذ عدد من الكتاب، ينظرون إليها خارج الوظيفة الاحتفالية المنقّرة، وبات هذا الحضور بحاجة إلى امتلاء رؤيوي، يخلصها من تشكيلة المجتمع، ويمنحها كينونة الامتلاك، بصورة تجعل منها الجوهر الإنساني الذي ينبثق منه الوجدان البشري بقوته، وضعفه، وعفته، وتخاذله، وحبّه وعطائه، فشخصية كل من «أميرة» في رواية «أفراح ليلة القدس - على سبيل المثال - و«شمس» في ثلاثية «الطريق إلى الشمس» ل «عبد الكريم ناصيف» تحمّلان وعياً يعكس على أخلاقهما وسلوكهما، لم تتخل أي منهما عن الشفافية الأنثوية داخل الوطن وخارجه، على خلاف الحال مع «ياسمين» في رواية «بيروت 75»، التي بذلت جسدها أمام اندفاع الذكورة، فصارت مجرد وعاء استقطاب متعيّ لذي، جزدها من التفاعل مع الوجود، أو المشاركة في بناء الحياة، وجرّها مستكينة إلى جنون الذكورة الصاعقة، والقاتلة، بوصف (القتل/ الموت)، موقفاً حياً يبلور سلوك الشخصية، وينهيه بمنطق الحدث الاجتماعي، والوسط الذي يوجد فيه.

إن العلاقة بين الرجل والمرأة على الصعيد الواقعي هي عنوان كبير لإشكاليات التقدم والتخلف، والتطور والارتقاء» (2) وقد أتت الرواية السورية على جميع العلاقات ممكنة الوقوع، ووقفت على جانب من الصور الإيجابية السليمة، كما وقفت على الجوانب السلبية، القائمة على علاقات مريضة مأزومة، لكن الكثرة في السلب، والقلة في الطبعي الإيجابي، لا يعني بأي حال من الأحوال، إلا التعبير عن رؤى الروائيين النقدية التي تحمل من الشجن والطموحات أكثر، مما تحمله من الرؤى الواقعية.

تختزل علاقة الذكر بالأنثى كثيراً من أنواع القهر التي تتعرّض لها المرأة، فتتغصّ عليها عيشتها، وربما كان ذلك - في بعض الحالات - بسبب «سوء الفهم الناتج عن أنانية الذكر ورضوخه لمقولات اجتماعية رثة»، كما يمكن للعلاقة مع الرجل أن تكون مصدر فرح المرأة، ومبعث أحلامها، في تحقيق ذاتها عبر علاقة الحب والزواج والأمومة، لذلك رأينا كثيراً من الروائيات يسلطن الضوء على هذه العلاقة، ويجعلنها محور إبداعهن» (3)

تبدو العلاقة بين الرجل والمرأة في بعض الكتابات، من وجهة نظر عدد من الكتاب - والكتابات بصورة خاصة - متوتّرة - غالباً - لأنهم يعبرون عن حال الأنثى التي يقع عليها ضيم الرجل، فيصورونها عاطفية ضعيفة، مغلوطة على أمرها أمام إنسان قوي يلعب دور الوصي عليها، حيواني الملامح (ديك - ذئب - حصان - وحش...) وإلى مثل هذا ذهبت «أنيسة عبود» في رواية «النعنع البري» حيث رأت أن «معظم رجالنا لهم أكثر من وجه. وأكثر من عقيدة. يُظهرون الوجه المناسب في الوقت المناسب. عندما يريدون امرأة يتحولون إلى مدافعين عن حرية المرأة، وحرية الجسد، وحرية الفكر، بينما يكون المفتاح الذي يفضّلون به على أخواتهم أو زوجاتهم معهم في جيوبهم السرية». ص (256)

وأدانت «كوليت خوري» في رواية «أيام مع الأيام» من خلال شخصيتها المحورية «أسمى»

سحف الذكورة، لأن أصحابها يحملون نظرات متطرفة، وسلبية عن العلاقة المتبادلة بين الذكر والأنثى: «عندما يخاطب رجل امرأة، فالغاية الوحيدة هي أن يقيم معها علاقات جنسية، وعندما تتصل امرأة برجل، تقتله التساؤلات.. ويفكر في كل شيء. من أرسلها؟ ما غايتها؟ بأية مشكلة سياسية تورطه.. كل شيء سوى في أن هذه المرأة تبحث عن الغزل» ص (122).

والكاتبة بهذا التعميم تسمّ جميع الذكور بلا استثناء، فتنتقدهم، وتضع البديل للعلاقة الجنسية، علاقات إنسانية، تقوم على الوعي الكامل لحرية المرأة، وتقليد المجتمعات الأوربية في الحب، والصداقة: «عندما أسمع عن الحب - يا يولا - عن هذه العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة. عن رجل يعجب بامرأة فيراقبها، ويدعوها علناً، ويغمرها باهتمامه وحبّه، ويسيج حياتها برجولة، أتخيل أنني أسمع عن أساطير تجري في بلاد بعيدة وهمية». ص (122).

وقد سخر عددٌ من الكتاب من زيف الدعوات التي يطلقها ذكور الرواية، فالأنثى التي حوصرت بدعوات الحرية، في رواية «ليالي عربية» ل «خيري الذهبي» أطلقت صرختها المدوية احتجاجاً: «أنتم أيها الرجال الشرقيون أكبر مدعين في التاريخ. حشوتهم أذهاننا بحرية المرأة، وعدالة قضيتها، ووجوب تحريرها، فلما فعلت ذلك، أخذتم تسعون وراء تعبيرها، وتشيينها.. وراء تحويلها إلى واسطة متعة، تلقونها بمجرد أن تنتهوا منها» ص (155)

وربما مضى الكتاب إلى أبعد مما ذهبت إليه الكتابات، ففي رواية «بروين» ل «عبد الباقي يوسف» سحبت إحدى الموظفات زميلتها، منبهة الحوار مع مجموعة من الرجال لقناعتها: «أن أي رجل، وهو يتحدث مع امرأة، يريد أن يعلم إن كان بإمكانه أن يضاجعها» ص (9) كما «أن الرجل لا يمكن له أن يفكر بإثبات رجولته إلا عندما يسقط المرأة عذريتها... أحذكم وهو يرى فتاة جميلة أول ما يخطر بباله انتهاك عذريتها.. ولذلك يبحث عن وسائل أدبية لجلبها إلى الفراشة..» ص (64)

تبدو العلاقة في بعض الحالات مشوّهة لقيامها على فهم خاطئ لجوهر هذه العلاقة الإنسانية «حتى إننا تكاد نفتقد وجود علاقة (روائية) سوية مع الرجل. علاقة أقرب إلى الندية. فإحساس الاضطهاد الذي يملأ وجدان المرأة يجعلها تنظر بعين السخط، فلا ترى سوى مساوئ الرجل، وحين نجدها ترغب في النظر إليه بعين الرضى، نجدها تفقد خصوصيتها غالباً، وتسبغ عليه صفات أقرب إلى الأنوثة... ففي رواية «أرصفة السأم» ل «أم عصام وهيام نويلا» يخرج الرجل من مكتب حبيبته «ماريا» التي قررت تركه، دامع العينين، منهاراً، يحاول عبثاً أن يخفي انهياره». (4)

أما في رواية «بداية كل الأشياء» ل «محمد بسام سرميني» فإن «صبرية» زوجة «نمر الصارم» في المجتمع الحلبي المحافظ، لا تبدي سخطاً على الرغم من سوء معاملة زوجها، لقناعتها بأنها دون الرجل مرتبة، فسلبت حريتها في العمل والتعبير داخل بيتها، وعاشت أمام أولادها محطمة النفس، وكأنما الحجاب الذي رسم لها، فرض عليها أن تخنع، وتعيش شخصية باهتة، وصورة فنية جميلة للمرأة المستلبة، المكبلة بالتقاليد، لأن زوجها ينظر إليها على أساس أنها مخلوق تابع له، أقل منه في كل شيء، مما يوئد في نفسها فطرة القبول

والخضوع المطلق لهذا الاعتقاد، كما تتوّد لديها أيضاً مشاعر العبودية والرضوخ لتعليمات سيدها الزوج، على أساس أنه رجل، وأنها امرأة، وقد حفلت الرواية بعدد من المواقف التي تظهر (صبرها) مقابل (نمريته) وتبرز مدى الضعف والقوة، أو العبودية التي ترسم العلاقة بين الطرفين، حين دخل «نمر» ذات مرة المنزل، وتباطأت «صبرية» عن تناول الأشياء البسيطة التي يحملها، بسبب اهتمامها في خياطة ثوب لعروس من الجيران ستزف الليلة. يقول الابن «جمال» السارد، وشاهد العيان: «أبي كان في رأسه عقل وطارا».

صفع أمي بكل قوة، فسقطت.. ركض إلى ماكينة الخياطة. رفعها فوق رأسه ثم هوى بها: - خيطي بال. بنت الحرام بعد اليوم إن أردت. «ص (57).

إن علاقة «صبرية» بزوجها ظلت حتى النهاية علاقة ضعيف بقوي، وهي تجاه شعورها بالظلم، لا تجد سوى دموعها، ولسانها الذي ما يفتأ يجاز بالدعاء، في خلوتها، وهذا أضعف الإيمان، فتكشف عن صدرها، وتبتهل: «رب فتحت الحلابات. لا ترذهن خائبات. تأخذ لي حقي من نمر الصارم.» ص (59)

إن إحساس الاضطهاد الذي يملأ وجدانها كأم وزوجة، يجعلها تنظر إلى علاقتها بزوجها بعين السخط، فلا ترى سوى مساوئ الرجل، أما حين تعيد النظر في جوهر العلاقة، وترى الأطفال حولها، فإنها تجاه عاطفة الأمومة تضطر لتغطية سخطها بطبقة من الرضى، تعلل بها خنوعها واستكانتها، وهي بذلك تفقد خصوصيتها غالباً، يقول الطفل السارد: «كانت دموعها تنهمر مثل المطر، وكذلك كنا نحن.

انتبهت أمي فجأة إلى دموعنا ودموعها. قالت معاتبة:

- لماذا تبكون يا أولاد؟ أنا أعرفه جيداً. السيد قلبه طيب. رغم كل شيء. أحبه ويحبني. بكره تتصالح، وتعود المياه إلى مجاريها. تعالوا أحكي لكم حكاية. ما رأيكم؟؟» ص (59)

إن كثيراً من صور المرأة التي صورتها الرواية في نهايات القرن العشرين ظلت على الصورة القديمة نفسها التي كانت عليها في مطلع القرن، من دون تبديل أو تطوير، وقد سمها الموروث الاجتماعي بمياسمه المعهودة من الضعف والعاطفة والاستكانة، تجاه المباغنة في دور الرجل، بوصفه الوصي والقيّم عليها، والمشحون - بتفويض اجتماعي - بالقوة المطلقة، على حساب إنكار دور المرأة، واختزالها إلى لسان يلهج بالدعاء السلب، وتسويغ أفعال الزوج / السيد، وتوجيه اهتمامها إلى البيت من الداخل، حيث الركون إلى قاع الأسرة في الإنجاب والتربية، وآلية الجسد العاطفي، في تأدية حق الزوج الليلي.

الإشارات:

- 1- د. عبد الله الغدامي. المرأة واللغة. ص (29)
- 2- د. غالي شكري. أزمة الجنس في القصة العربية. دارالشرق. القاهرة 1991
- 3- د. ماجدة حمود. الرواية النسوية السورية وخصوصية الخطاب. مجلة الموقف الأدبي. ص (32) العدد (361) دمشق 2000
- 4- الرواية النسوية السورية. المرجع السابق. ص (32) ويمكن الرجوع إلى كتاب د. حسام الخطيب. روايات تحت المجهر. ص (160)

حذار من الصهاينة الجدد

د. اسماعيل مكارم



حذار من الصهاينة الجدد
أنزلوا الرّيات
أنزلوها
واغسلوها
بدموع القاصرات،
بدموع الأمهات،
من يُنقذ الأحياء
في نكبة بيروت؛
(الميناء، والحريق، والسنة
اللّه)،
من يُصلي على أرواح
الأموات؟
من يمسخ الدموع عن وجوه
نساء بيروت؟ من؟
من يُعيد للأطفال
بيوتهم المدمرة؟
من يُعيد لهم الإبتسامه؟
××
نكبة بيروت تذكرنا بعام ما
بعد الأربعين
تعيد إلى الذاكرة تلك
السنين العجاف،
تعيد صور كثر قاسم.
لحظات...
وأحاطت بنا السنة اللّه،
والدمار، والقهر، والضياء،
وفقدان الأحبة...
لينا أولاد الغول
لتهنا البومة،
لينا أحفاد أبي لهب.
××
تكالى بيروت،
نساء بيروت
يبكين في الليل،
يتضرعن إلى الخالق،
يضمندن الجراح.
××
أفعى الحريق
طالت شوارعك يا بيروت
ضربت فيك
الخمائل
والجدائق
والأشجار
والحجر.
آه... يا بيروت،
لا ينفع الندم.
باووك يا بيروت!
بالديتار، والدولار،
ورنين الذهب،
قدموك للتنين ضحية!
باعوا الجمال في عينيك
الجميلتين
باعوا زرقعة البحر في
الصباح،
باعوا ليليك الجميله،
باعوا الكحل في عيون
العذارى.
××
خزنوا الحقد في الميناء،
خزنوا أدوات الموت أطنانا!!!
ماذا نقول.. يا بيروت؟
والحزن يخيم

قران العجائب

محبي الدين محمد



بلوت المعابر في شهوتين
ندوري تعافت
سأطوي حصاري
على مرج أيوب في ليلتين
وأقري الضفاف
على بحر دنيا
في وثبتين...
كأنني ذكرت الثبات المدمى
سجينا يصلي
فاصغيت كي أسمع الله
في وصيا...
لأسأله: عن جذوري
وصمت الشفاه
على جفن يومي
يحبذ دهرنا
إذا مز طيف السرى
في مته الجياري
فمن يوقظ العتمة الأولى
ورؤيا المدارات
ترشي فضاء التمني؟!
في غربتين
سمعت نداء التواصي
وقدمت فوق يد الطفل
همس أمهات حزاني
وغنى مداري بثوب
القصب...
مشيت بعيداً...
وأثرى مقامي
رسول التواري
فعدت إلى وهج روحي
تديماً
وما في نهاري سوى لحظتين
وقلت لهمي:
سياتي زمان
يضيء السماء شمالاً
سياتي زمان...
تدور الجهات جنوباً
وعصري سير المراثي
إذن: سوف أغضو على

من لي سواك؟

ميادة مهنا سليمان



تأتين من خلف السراب، تجرجرين
الرمال
حيلي بالغيار على عيون الضجر،
يزحف كالأفاعي.
كثبانك الرمضاء تحصد خضرة
الأرواح، السنة تطير باللهب
يصاعد الدخان زوبعة ليخرس
بحة الناي التي صعدت
لترسم في السماء دموعها مطراً..
تزتره الغيوم الداكنة

أوقف أزيك يا رصاص.. أطفئ
لهيب النار في دمننا فقد شحذت
سيوف العشق بالحجر الموشى
بالسواد وبالبياض
ما زال معتقلاً لساني.. كيف أخرج
من سباتي؟
إنه الطوفان حولي.. كيف أقتض
الخلاص
وعصفك المجنون يدفع بالرمال
إلى عيون القلب يجعلها حطام؟

طيباً تحاورني الظلال ولا مذاقاً
في عورتك المريبه
يا لونها المخفي جرحك في
المواجه.. يرسم الإخفاق في رنة
الصباح
كل النوارس هاجرت.. طار
الحريق بغير أجنحة
يوزع كالجراد دماره فوق التلال
(سقط النصف) وعريها غطي
العيون وأشعل الأضواء في لون
الحريق
من ذا يراود عريها عن نفسه؟
أبدأ تحاصرها العيون.. فلا بريق
الشمس يطفى وهجها
وغبارها غطي الوجوه ولا سبيل
إلى الخلاص
عصف تشظي.. جرح الأحلام في
جفن المساء.. وجدد الحزن الدفين

أستل من لغة الدموع نوافذي..
أبدأ تطاردني السلاحف.. لا
تطارحني الجهات
جسدي المعطر بالدماء يلوب
يبعث عن خيول ودعت.. ودعت
إلى نبد الخصاص
كي لا يحلق حول ماساتي الذناب
قد أودع الأوغاد في جسدي..
عيوناً تشنفي بالنازلات
كان ارتحالي مثل كثبان الرمال
إلى الهجير
مذ أشعلت نزي الغيوم تسابق
الأعداء في قصف الرعود
طارت فراشات الليالي.. خوف
نيران الحدود

كسرت رغائب رحلتي.. واشتد بي
وهن الطريق
ما عاد وجه للمرايا يفتح الأفاق
للقلب الحزين
لأعاهرات الليل تأوي للفرش..
ولا يضاجعها السراب
لا قاذفات النار تبصق في الجهات
جحيمها الأزلي
فالنار استطلت واستقرت في
الصدور
ما عاد لسفر المخضب بالماسي
أن يحس حلاوة العسل المصفى..
فاشربوا من دمه.. وتفكخوا بسعادي
لحمي وأحلامي لكم.. دمعي
واللامي لكم.. كلي خلاص رحيلكم
فوضى المتاهة والنشيج المر يخبو
مثل طفل في الرضاة
فوق صدر الأم يبكي.. ثم يشرق
بالحليب

خوي على بحر القصيد يفتق
الطوفان من أعطافه
عصفا يجلجل في السماء.. يزلزل

الفتح المبين..؟

محمد الزينو السلوم

الدنيا على صمت الوسواس
مالت الأعناق يا أماء.. لم هذا
الخنوع؟ هل يا ترى الساقى تزتر
بالرحيل؟
صدات نفوس القوم يا أماء مذ
قست القلوب كما الحديد
ما بال قنديل المحبة ناس حتى
صار خيط العنكبوت؟
ما بال تجار الكلام يسامون على
الأصالة والجدوز؟
لن يجرحوا جسد القصيدة..
فالقصيد شمس تاريخ الجدود
لن يزرعوا الأحقاد في دمننا براقع
تطرح النزف الأخير

تأتين من خلف السراب.. يجيء
صياد الجهات ليطلق النيران في كل
الدروب
خرجت ذناب الليل تعوي من
مخادعها.. قلوب لا تلين
قد كشرت عن نابها.. تغلي
بمهجتها الدماء على الفريسة في
الظلام
يلتف حبل الموت والأعناق تشهد
حتفها.. والروح تصعد للسماء
صبراً؟ وتدفعنا الرياح إلى
الحضيض.. ولا نجاة
صبراً؟ وتمتد الرمال إلى ضفاف
النهر.. تقترب الجرائح من دمي
هل يهرب الماء الذي أهدته أحلام
الطفولة للحياة؟
كيف ارتمت شمس الأصيل ولا
صهيل؟
هل كان ما أحياء وهماً.. كيف لا
أشتم لون الزهر في عيني يا أخت
الدهاء؟
أطفئ حريق القلب في دمك
المخضب بالظلال
فعداً سترهل في الغياب مزارع
الليمون والتفاح من دق الغبار
ارفع عن القلب المواجه.. أطلق
الحلم الجميل.. فبذرة الأحلام
تنبض بالحياة

هذا دمي في لحظة التكوين يحتلب
الحنين.. يروح يستلب القلوب
هيا استعد شمس الأصيل ولون
النجوم بملك في الليالي المظلمات
هيا وطير من نوارسك التي تحنو
إلى البحر الذي
زرع النفوس نبوءة العراف تصهل
فوق أحلام الصواري
أغدق أزيك يا رصاص فانت أجد
بالحياة
ما عاد معتقلاً لساني.. سوف أخرج
من سباتي
إنني الطوفان لن أخشى العواصف
والرياح
بل سوف أغدو البارز في العلياء..
أمتشق الهواء الطلق أغدقه إلى رنة
الصباح
أتنفس الضوء الذي ألقاه في
دربي.. يراودني فاهز كالعصون
أستل من لغتي سيوف الشعر..
أشهرها بوجه الليل.. تدح بالشر
غنت طيور الشمس في دمننا.. وساد
الصمت فانبج النهار
طيرت من قلبي النوارس فوق بحر
العمر فاشتعلت حنين
هذا دمي من لحظة التكوين يصعد
للسماء
تأتين من خلف السراب..
تجرجرين الرمل.. لن يجدي الغبار
كثبانك انهارت وعادت بحة الناي
الحزين إلى الغناء
ارفع عن القلب المواجه.. أطلق
الحلم الجميل.. فإنه الفتح المبين.

الغزاة

• يونس محمود يونس

إننا عندما بدأنا رحلتنا كنت مطمئنة إلى أننا ومهما تجولنا في أنحاء وطننا فكاننا لم نغادر إلى أي مكان، وفعلنا ما كنا نصل إلى القلعة حتى وجدت ما كنت أحلم به.



سألته وهي تحتك به هربا من هبات الهواء الباردة..
- ألا تشعر هذه القلعة بالخوف؟ إنها تذكرني بباخرة قذفتها أمواج البحر العاتية على شاطئ أراه للمرة الأولى. نظر إليها وقال.

- نحن في قلب التاريخ.

والمفروض أننا جئنا بإرادتنا لنبيت ليلتنا فيه. فلماذا الخوف؟

صمتت بشيء من الاستسلام والتصقت به أكثر. فقد كانا على سطح متوسط الارتفاع.. وصلا إليه عبر درج عريض.. في حين كان الليل المرصع بالنجوم يخيم على تلك القلعة الرابضة منذ أقدم العصور على جبل الشراع المطل على البحر تماما..

صعدا الجبل سيرا على قدميهما، ودخلا القلعة من الجهة الخلفية.. حيث لا يوجد في تلك الجهة المفتوحة على الخلاء أبوابا ولا موظفين.. فلما استقرا على ذلك السطح.. واجهتهما مصابيح السفن التي كانت تشير إلى وجود الحاضر بكل عظمته وانسيابه في مستقبل لا أحد يعرف كيف سيكون، أو هل سيكون..

ومع تأمل هذا المشهد الغارق في ظلمة التاريخ السوري.. يوم لم يكن هناك غير قطعان الغزاة.. كان على كل منهما أن يصمت طويلا ليُعرف كيف يستطيع أن يحقق ذاته دون أن تتلعه أو تهزمه موجات العواصف التي اعتادت أن تجتاح وطنهما بين وقت وآخر.. عواصف لكل منها طبيعتها بحسب الجهة التي تأتي منها.. فإما أن تكون سلمية، أو عنيفة، ورغم أن كلا منهما وقف في حياته على عدد منها، وتعرف على أسبابها، وطرق سيرها.. إلا أن العاصفة الأخيرة والتي طال أمدها رغمًا عن أنفسهما وأنف كل سوري.. ربما كانت هي الأغرِب والأكثر خداعا وضراوة..

شك يدب على صدره، وفعلت هي الأمر ذاته. فظهرا وكأنهما يفكران في أمر واحد.. من المرجح أنهما كانا يشعران بهيبة المكان، وعجز القدر عن إنصافهما. إذ لا يدريان ما الذي قد يحدث بعد ساعة أو دقيقة.. حيث لا نظام دائم يمكن الاعتماد به، ولا فوضى دائمة يضيع المرء فيها إلى الأبد، وبين الجالين كأنهما وجدا نفسيهما حزينين على وطن أسمه أهم منه، ومدنه أسماؤها أهم منها..

في خضم هذه الأفكار والمشاعر.. قال لها

- ربما كان حريا بنا أن نحذو حذو الكاتبين الكبيرين لوقيان السوري وأبي

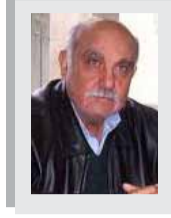
العلاء المعري السوري أيضا. لكنني لم أجد في افتراق هذين الكاتبين عن أرض عاشوا فيها وكتبوا عن غيرها ما يبرر لنا الخوض في عوالم مشابهة، وأتساءل: لماذا فعلا ذلك؟ هل كان الذهن السوري في تلك الأزمنة القديمة يتجه نحو غزاة الخارج ليهيمن في تصورات تساعد على التوازن..

فأجابته قائلة:

معك حق، وأستغرب كيف يمكن لكاتب كبير أن يهيمن في عاصفة دون أن يفكر أنها ستحسر ذات يوم.. خاصة وأن الجمال يتركز هنا، والتنوع يتركز هنا، وهنا يوجد التضاد، والبحر، والجبال، والسهول، والبوادي، والأنهار.. إنها كلها هنا، وتاريخ الألهة ومآثرها مطبوع على كل الأستة..

أجنحة من رصاص وحصان من لهب

• علي المزلع



في كل الأمسيات التي أقف فيها على أهداب الجولان، ومن أعالي الصخور المطلة على التلال المتاخية في عمق البلاد.. تعلق عيناى على قمة جبل الشيخ، يخيل إلي أنها ملتصقة بالسماء، أو أن السماء ترتكز عليها، فإن زلت قمة الجبل زلت معها السماء، أو كان السماء تسر للجبل شيئا ما، وتبوح له بما لا يعرفه الآخرون، فتتمنحه بياضها، ونداها ليوزعه على كل التلال الصغيرة التي وُلدت من خاصرته في زمن ربما لا نعرف عنه الكثير، وليوزع مياهه على بيوت الفلاحين وحقولهم، لتبتل حناجرهم المتعبة، وتنهض أشجارهم العامرة بالأمل.

وفي كل مرة أقف في هذا المكان تنهض ذاكرتي بتاريخ المنطقة وأحداثها.. ومن عمق الذاكرة يأتي صوت ذاك الصديق الذي عاش مقاتلا على قمة الجبل، كان يقول لي: من هنا، من هذه القمة كنت أرى أضواء حيفا ويافا وكل مدن فلسطين حيث تبدو في عمق الليل كأنها المجرة وقد هبطت على الأرض.

وحين يرهقني التامل تركض عيناى على السفوح، والمنحدرات وصولاً إلى عمق الجولان، وقمم التلال التي تبدو أمامي الآن كأنها قوافل الجمال لها أسنام من ذهب..

وفي كثير من الأحيان تطير عيناى مع أجنحة الطيور التي ترف بأجنحتها نحو الغروب.. ولا سيما طيور الكراكي التي تعزف أحزانها وهي تدور في الفضاء باحثة عن الدفء والغذاء.

في تلك الأيام كانت تدور فوق قريتنا، وترسم دوائر سريعة كدوامة في عمق المحيط. كان الأطفال يصعدون أسطح البيوت ويشاركون الطيور نشيدها ويلوحون لها وهم يصرخون بأعلى أصواتهم مناشدين قائد السرب: «أبو سعد كبيرهم بالله عليك تديرهم..»

وتبدأ أسراب الطيور ترسم دوائرها المتلاحقة وكأنها استجابت لنداءات الأطفال وأناشيدهم، أو كأنها شعرت بالأمان وحرارة اللقاء..

وتستمر الطيور في تحليقها الدائري إلى أن تهبط في عمق السهول الممتدة حول القرية كبساط من أمل. فيتساءل الفلاحون خيرا.. وعلى امتداد الأيام اللاحقة يبدهون بتفقد محاربتهم، وأدوات فلاحهم، فهم يعتقدون أن الأمطار صارت في أفق السهول، وكان أجنحة الطيور تحمل معها بشار الندى المرتقب. أه تلك الأيام، فأنا الآن أشرك الطيور بحثها عن الدفء والأمان، فقد أهدقني الشتات وقسوة الغربة، وانكسارات الأحلام، وثار الشوق والحنين.. فأنا لهذا الطائر الحزين الذي أهدقته الهجرة أن يمنحني أجنحته لاجتياز الأسلاك، وحقول الأغلام، والمعابر المحشوة بالنار والبارود؟

كانت أمي تغني: «يا طير ما تبادلني.. من جناحك لهدومي»..

أه يا أمي.. لا الطير يبادلني، ولا من يحملني إلى هناك، ومن يقبل بديلاً لرحابة الفضاء وشموخ القمم؟ يمر الوقت ثقيلًا، وفي الذاكرة المرهقة قصص، وحكايات لا تنتهي.. فكل قمة من هذه القمم لها حكاية، ولكل صخرة من هذه الصخور قصة، والكثير منها لا يزال يحمل في جنباته وشما لسلاسل دبابة، أو آثاراً لطلقات مقاتل.

وبين القمم والصخور والمعابر لا تزال آثار خطاي، وفي عمق الجبال ينام صدى صوتي الذي كان يوما نشيداً للبلاد وأهلها وأيامها وأحلامها، وليس أمامي الآن إلا أن أجوس الأفق، وأتفحص الأسلاك الشائكة وفوهات الموت، وأبحث عن المعابر والطرق التي توصلني إلى هناك.

كاد الليل أن يلفني بخيوط العتمة، وبعض النجوم بكرت بالظهور، وصار الندى يبلل جيهتي، وذابت القمم مع خيوط الليل، بعضها صار بعيدا، وبعضها اقترب، أو كأنه يحاول الإمساك بأخر خيوط النهار حتى آخر لحظة.

نهضت منقلا بالأحلام، وأنا أحاول عنوة الإمساك بطريق العودة المتعرج بين الصخور.

قال لي رجل عجوز كان يرضى أغنامه هناك، ما بك يا رجل؟

منذ زمن وأنا أرقب خطاك، تارة شملاً، وأخرى جنوباً وتارة في أعالي الصخور، ولساعات طويلة، كأنك تبحث عن شيء؟ قلت نعم: أنا أبحث عن الطرقات والمعابر التي تحمل خطاي إلى هناك، إلى خلف التلال، حيث قبر أبي ومحرثه..

صمت برهة..

قال: لست الوحيد في ذلك، ففي كل يوم أرقب الكثيرين في هذا المكان.. ولكن يا أخي انظر في وجهي فقد أكلته التجاعيد، ورأسى أكله البياض، وظهري كما ترى، قوسته السنون فأنا ابن هذا المكان، وقد كنت شاهدا على كل الأحداث في المنطقة..

حرويها، ومواسمها، وقوافل العابرين فيها، وأحزانها، وأفراحها.

قلت: بارك الله فيك، وأطال أيامك الباقية.

قال: يا أخي إذا أردت العبور إلى هناك فعليك أن تمتلك أجنحة من رصاص، وحصاناً من لهب ولا سبيل آخر.

قال ذلك وهو يمد خطاه خلف القطيع الذي بدأت أجراسه بالهدوء وهو يأوي إلى حظائره القريبة.

ومنذ تلك اللحظة، صارت أحلامي، رصاص ولهب، وحين أستيقظ منمضوء.. أتلمس أطراي، وينهض السؤال في داخلي متى تنبت أجنحة الرصاص، ومتى يصهل حصان اللهب؟

مساء دمشق

• م.ياسمين درويش

في رحلة من حلب إلى دمشق اقترحها وسيم على صديقه حازم وحين وصلا دمشق أخذ يحدثه عن روعة دمشق وعراقتها فهي أقدم عاصمة مأهولة في التاريخ، وأخذ يذكره بأيامهما معا في مدرسة بسام العمر حيث كانا طالبين في الصف الثالث الثانوي لا يفترقان، ثم ذكره بالقصيدة التي تعلمها في مادة اللغة العربية عن يوم السادس من أيار حيث علق جمال باشا السفاح خيرة شباب الوطن في ساحة المرجة على أعواد المشائق وطلب حازم منه اصطحابه لساحة المرجة، وأخذ ينشد:

قد علفتكم يد الجاني ملطخة

فتدستكم بكم الأعواد والمسدا

وهنا ضحك وسيم بعد وجوهه ثم توجه نحو السيارة وقادها وسيم نحو ساحة المرجة.

بدأت الساحة يومها كبقعة خضراء يحيط بها بحر السيارات المتزاحمة، ويتوسطها عمود معدني طويل على قمته نصب تذكاري لمسجد في إسطنبول، وعلى أطراف الساحة ممر على شكل جسر خشبي صغير في حين تمتلئ الساحة بالجمائم.

وهنا تدخل حازم قائلاً: الجمائم في دمشق مختلفة عما هي عليه في حلب، فهي في دمشق بدينة وتبدو رؤوسها مغروسة في أجسادها الملطوفة أما الجمائم في حلب ممشوقة الأجساد ذات أعناق متطاولة.

وتابع ضاحكاً: إنها أشبه بأكبش طائرة.

ابتنس وسيم دونما تعليق وعاد حازم ليلفت انتباهه قائلاً: العمود الذي تراه في وسط الساحة وتشعر أن قمته تتناول الغيوم هو نصب عثمانى فريد.

وعاد وسيم لعدم الاكتراد بما يقوله حازم فكرر بدون تفكير: عثمانى.... فريد.

وهنا أخذ وسيم يتأمل بصمت قاسيون الذي يشاهد بوضوح بين الأبنية وفكر بأن قاسيون هو الأب روجي لدمشق بأسرها... دمشق عاصمة الأمويين وموتل الضياء.

دعا وسيم حازماً لتناول الطعام في مطعم شعبي في دمشق القديمة، وهو مطعم يقع بالقرب من المسجد الأموي الكبير كان مرورهما سريعاً إلا أن سحر دمشق المنضوي في جنبات الأزقة الضيقة والعبير الذي يضوع شذاه من خلف الأبواب المتقاربة طبع في ذاكرة حازم.

في المطعم القديم المحدث حيث الباحة السماوية المسقوفة بقطع زجاجية كبيرة والبحرة والنارجة وعبق النرجيل، وأصداء صوت أم كلثوم الذي يخفت حين يصدح المؤذن بصوته النقي «الله أكبر»، وتتبعه جوقة المرتلين بطريقة كورالية بهيجة.

هناك حيث الأرض تعانق السماء شعر وسيم لوهلة أن الزمن قد توقف، ولكن صوت أذان العصر أشعره بضرورة العودة إلى حلب، وهناك سيحاول جاهداً أن يجعل من الغد غدا سعيداً مشرقاً مليئاً بالعلم والبطء.

الشعر والروح العراقية

حوار مع عبد المنعم حمدي

• توفيق ألتونجي

وَلَيْسَ الْغِنَى نَشَبٌ فِي يَدٍ
وَلَكِنْ غِنَى النَّفْسِ كُلِّ الْغِنَى

أبو العناهية

يقول الدكتور حسن حميد في مقاله الموسومة "غنى الشعر.. غنى الروح" عن الشاعر العراقي عبد المنعم حمدي: "...وعندي أن أهم ما يميز تجربة عبد المنعم حمدي الشعرية، هو الوفاء لأمرين اثنين: الأول الوفاء للشعر كما يكون شعراً أيضاً لما يتمناه الشعر وعارفوه، أي أن يبقى نصاً مكيناً متجدداً في القراءة والحضور، عصي على الاستلاب والتباهت والمحو، والثاني هو الوفاء للقيم التي آمن بها عبد المنعم حمدي على الرغم من الكواره التي كرت منذ احتلال الطفلة للعراق العظيم، فهو لم يغادر روحه العراقية، ولم تغادره هي، ولن تغادره." حديث الدكتور حسن حميد استوقفتني والهمني كي اطرح على صديقي الشاعر جملة أمور فيما يخص شعره وللوقوف على تجربة الشاعر وللحوار معه والحديث حول أسلوبه الشعري وتلك النكهة العراقية التي تغطي على شاعريته خلال العقود الأربع الماضية.

كلما مرّ بي طائر رُفّ قلبي

وقاض الحنين

وإذا حطّ، قد أوهمتني النجوم

بأن اصطباري وحزني شجيرة تين

إن خويّ عليه كمين

- ما الشعر، هل الشعر مجرد ايحاء؟

- الشعر ليس ايحاء بل هو تخليق وتخيل، يصوغ لغة متمردة على الأنماط التقليدية، بأشكال ومضامين جديدة في الفكرة و الصورة والانزياح ارتجاج روحي، للأشكال العتيقة، فالشاعر رائد حالم يحاول إبداع أشكال ومضامين جديدة وغريبة، فينعكس ذلك في لغة وصور غير مأثوفة، فهي حسب أدونيس "رؤيا جديدة وهي جوهرها رؤيا تساؤل واحتجاج؛

تساؤل حول الممكن واحتجاج على ما هو سائد".

دعني أغفو فوق الماء

يا حلم الألق المكنوز

ما أحزنتني الآن..

كان الليل من أجمل أصباح الدنيا

حين يمشط شعر الشمس

في ينبوع الطوفان

أوي بهجة عشتار وتموز

وند النهر فباي مياه تغسل الروح

وبأي الأنهار أروي عطشي

من بئر أو حتى من كوز

من يسمع نزي في هذا العصف؟

انطفاً النور، واجتثوا الأشجار،

لم يبقوا نخلاً كي

أنشر فوق السعفات النكلى محني

أو نافذة تحضن قلبي، فأشاهد منها وطني.

- وكيف تكون حالة ولادة القصيدة؟

- يكون المخاض عملية خلق في مرحلة التناثر والتصادم بين ما هو منظور في البنية السائدة وبين ما يحدث من تغيير في تشكيلات صورية حديثة غير مأثوفة، من نتاج اللحظة الشعرية، لذا لم يعد مفهوم الحداثة تقليدياً ومؤطرأ، أنه اليوم إشكالية متنامية تحاول تحرير وجودها من أسر المطلق، بمعنى تحرير التعبير من القوالب والصيغ الكلاسيكية.

- ما هي الحداثة، كيف تفهمها؟



- الحداثة في قلب البيان العربي ولم تمت منذ الشعر الجاهلي بالرغم من كونها نحت مصطلح غربي، فهي لا تعني ضد القدامة، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بحركة التاريخ والسترات، قد تجد وفرة الحداثة في نص قديم ولا تجده في نص معاصر، هي تجاوز لكل مأثوف وتقليدي، لكن لا يعني الانسلاخ إطلاقاً "وانما يعني تجاوز تركيبة النظام البلاغي بمفهوماته وقيمه، ولكل حقل وفن خصوصية ومميزات مكونة له، قابلة لضرورة التجديد، فليس هناك قديم وجديد، بل هناك تقليد وحداثة، وهذا مرهون بالمبدع نفسه اذا كان يسكنه هاجس الحداثة والتجديد وقوة الروح للخروج عن تكرار نفس الرؤى بنفس القوالب والصيغ الكلاسيكية، إنها لغتنا الجميلة مثل نهر عظيم لا يعشق الا الذي يحبه ويحسن فن العموم فيه، بتعبير آخر أن المبدع يسعى دائماً إلى الكشف الدائم في الخلق والإبداع مادام الإبداع يمثل أرضاً بكرًا تبحث عن فلاح ماهر وكل عمل إبداعي بالمعنى العميق هو أرض بكر. على التعش يبكي التراب ويترق حزن البيوت ويبيكي عليه الغمام ويبيكي النقاء وتبكي المساجد حزناً على دمة في القنوت تصلي العصافير حين يقيم الصلاة بظل شجيرة توت له الشمس متكأ في الأذان وفي ظلمة القبر تحيا، تحن عليه.. فكيف يموت؟

- انت من جيل السبعينيات شعرياً، ما سمات هذا الجيل؟

- تسمية "جيل السبعينيات" هذه التسمية بدعة، يجب أن لا نجري خلفها، لا توجد أجيال في الشعراء والشعرية تتفاوت بين شاعر وآخر، والشعرية ترفض الاطواق وخارج الاطار الزمني، هل تعرف الى أي جيل ينتمي طرفة بن العبد أو المتنبي أو ابن الفارض أو أبو تمام؟.. عندما نتصفح ديوان الشعر العربي، لا يهمننا سوى الشعر وبراعة الشاعر ولا يستوقفني غير النص المدهش وبأي شكل فني كان (عمودياً أو حراً أو نثراً) أقف عند الشعر والشاعر ولا يهمني عصره وجيله، فلماذا نضع الشعراء ونحسبهم في أقفاص الأجيال، كما توضع البلايل؟ وكل شاعر في الأرض هو امتداد لشعراء قبله وخلفه للذي يأتي بعده ويجب أن يكون متميزاً بين مجاليه في الزمن الذي هو فيه! والمجاليون لنا لكل منهم عطره ومساره، قرأت الأرض الليبال ت.س. البيوت ولا أعرف لأي جيل ينتمي.

(نيسان أقي الشهر، يخرج

الليلك من الأرض الموت، يمزج

الذكرى بالرغبة، يحرك

خامل الجذور بغيث الربيع)

وقرأت المركب السكران لرامبو، ولا أعرف هل انتمى رامبو الى جيل وهل وضع شعره في سلة زمنية محددة؟

المبدعون ملك للأجيال، يتجولون في كل العصور والأزمان، أشعر اكبر من الزمن، في وقت مبكر، في منتصف السبعينيات تبلور وعي جديد عند مجموعة من الشعراء الشباب.

لعل بعضهم استهوته تسمية جيل السبعينيات، وخاض غمار لعبة تحت مظلة إطار زمني، ولكن سرعان ما تنبه فرسان هذا الجيل إلى خطر التسمية فتمرد عليها وشق عصا الطاعة، ورفض المكوث في قفص، فكان لكل شاعر مشروعه الحداثي، وطوح بعضهم في وادي غير ذي شعر.

فهذا الشاعر المبدع خزعل الماجدي، عشق الأساطير وتاريخ الأديان والمعتقدات والحضارات القديمة وهذا الشاعر الجميل فاروق يوسف استهواه الفن التشكيلي والرسم وفيوضات جمالية أخرى، وهذا عادل عبدالله يبحث عن اليقين في طروحاته الفلسفية، وهناك كوكبة منهم ما تزال تحضر مسلتها وتنقش ألواحها في الشعرية العربية بإخلاص مثل الشعراء:

هاشم شفيق وفيصل جاسم وأمجد محمد سعيد، وغيرهم، هؤلاء أبناء جيلي الذين تفرقوا في الشتات، صمت بعضهم ورحل إلى دار الخلود مثل رعد عبد القادر وكمال سبتي وخليل الاسدي.

أما أنا سكنتني هاجس التجديد وبدأت السير نحو الحداثة منذ ديواني "أتيتك غدا" وتعمق هذا الهاجس في ديواني الخامس "طواف في ناي" وكلمة تضادم الزمن تعقت تجربتي وتفردت وكنت أرى شعري في كأس غريبة بخمرة معتقة لا تشبه الأصناف المعروفة ولقصائدي نكهتها، وتجربتي شاذة لا تحسب على جيل بعينه، حالي حال أي شاعر يعجز بمنجزه، وفي المكتبة الكونية مئات الشعراء عبر العصور ولكل شاعر مذاق خاص، أنا منهم ولهم، فلتسقط بدعة الاجيال!

- كيف تختار عناوين ديوانك وقصائديك وماذا تعني عندك عتبة النص وما قبلها؟

- لكل مخاض أو ولادة قصيدة اشكالية عنوان، فهو العتبة وهو الفنار الذي يرشد القارئ للوم في خضم النص، وهذه الحيرة دائمة في تسمية أبنائي عند ولادة كل واحد منهم! خاصة وهي تنطلق من نفس شاعرة تنظر الى نفوس قرائها، وللأسم علاقة محورية بالمسمى.. والعنوان مرآة النص له دلالة ومدلول، ولهذا اتوقف طويلاً عند التسمية، اختيار شكل

العتبة، لونها، وبأي حجر كريم أرصف جوانبها، اثنا عشر مجموعة شعرية مطبوعة، وعشرات القصائد منشورة في دوريات وصحف لم يحوها ديوان، ولكل قصيدة عتبة، وما قبلها من قضاء، ومحرضات، وارهاص، وذات تتأثر، وعواطف هو اجسها مرهونة بأسباب، بعض العناوين تفرسه جملة سائحة في متن أو كلمة تبخترت في مرقافية أو تورية بمنعطف إشارة واضحة.

وربما يكون توافق رأي قارئ حصيد في معرض إختيار أبلغ ما اقترحت من أسماء لها..

ونضع العتبة أحياناً دون أن نسأل كيف؟ ولماذا؟ وهل تلائم البيت، القصيدة، النص.. وثمة عناوين بعيدة الدلالة وتشتت القارئ ولكنها قريبة لنفسي، ابتكرت لها مبررات أو تفسيرات مثل عنوان (أول النار) ديواني الرابع 1993، اختلفت حوله التأويلات: العقل، الحب، الحرب... الخ أو ديواني الأول (أتيتك غداً) 1986.

أثار (أتيتك غداً) جدلاً فلسفياً ولغويًا، وكذلك ديوان (طواف في ناي) 2001، وديوان (لذائد الجمر واليقين) 2003، وهذا القلق والتوتر افاقني في الدواوين الشعرية الآتية: معراج آخر عام 2008 و تهجدات في عام 2015 وضوء الروح في عام 2018، والثلاثة الأخيرة: القيامة، والادريس والهدهد، والصلب، التي صدرت في عام 2019، لكل عنوان سماء وأفق، وهو عتبة الباب التي يقف عندها القراء متأملين قبل تأملهم قصائد الديوان!

اخيرا أشهد أن اختيار العنوان للقصيدة أو الديوان على ارتباط وثيق بالحالة النفسية، وبطبيعة جو القصيدة وزمانها، ووهج مأل الذات الشاعرة، ولكل عتبة نجمة وهلال!

الشاعر حمدي جال بنا اليوم في سفره شعرية، وربما اقول ربما هذه ليست الا صفحة تليها صفحات حوارية نتابع فيه انتاجه وتتذوق جمالية شعره ذو الطعم العراقي. اما لهذه المرة فتودعه متمنين له دوام الصحة والعافية والمزيد من الكلمات الطيبة. عن الشاعر:

الشاعر عبد المنعم كريم علي عبد اللطيف حمدي، وهذا اسمه الكامل مع ان اسمه الادبي هو (عبد المنعم حمدي).. من مواليد محلة القشل ببغداد سنة 1954. نشأ في بيت أدب، وعلم وأسرة دينية محافظة. درس في مدارس بغداد ودخل كلية الآداب المسائية وبعد تخرجه دخل عالم الصحافة لعشقه لهذا المسلك.. كما مارس العمل الاعلامي عن طريق الادب ومنذ منتصف السبعينات.

عمل في صحف ومؤسسات اعلامية عديدة منها: جريدة الجمهورية، جريدة القادسية، الإذاعة والتلفزيون، جريدة الوفاق الديمقراطي، قناة المشرق، قناة الرشيد الفضائية، وغيرها، وتدرج في العمل الاعلامي والصحفي محرراً، وخبيراً، ومديراً، ومدير تحرير، ونائب رئيس تحرير، ورئيس تحرير. مثل العراق في العديد من المهرجانات والمؤتمرات العربية وفي المحافل الدولية. ولتميزه في العطاء الادبي والمهني فقد نال جوائز ودروع ثقافية وشهادات تقديرية في العراق والعواصم العربية ونال جائزة الدولة التقديرية عام 1994 عن ديوانه (أول النار) واعتزازاً بمكانته الأدبية وتكريماً لنتاجه الشعري والثقافي. وقد نالت قصائده ودواوينه اهتمام الدارسين وكبار النقاد وكُتبت عن شعره ودواوينه دراسات نقدية عديدة في العراق والوطن العربي، كتب العديد من البحوث والمقالات والدراسات الأدبية والفكرية المنشورة في مختلف المجالات والدوريات الادبية والفكرية. ترجمت بعض قصائده الى لغات عديدة منها: الانكليزية، الفرنسية، الاسبانية، الروسية، الصربية. أصدر اثني عشر ديواناً.

حافظ الشيرازي . أسطورة الأدب الإيراني !!

• د. تركي صقر

محال محال
للشاعر الأذربيجاني
الكبير قاسم زادة

• ترجمة د. أيمن أبو الشعر



(من بين التجارب الغنية التي عايشتها في الاتحاد السوفييتي، زيارتي إلى باكو، ولقاءاتي بشعرائها ومبدعيها ومن بينهم الشاعر الكبير قاسم زادة...)

وأشرفنا إحدى قصائده العاطفية زادة التي ترجمتها إلى العربية بعد زيارتي إلى أذربيجان قبل سنين طوية حيث كنت أعد أنطولوجيا الشعر السوفييتي آنذاك!!!)

صموت هو الشطّ خال ولا صوت فيه
هدوء وديع ولا وقع خطو تداني إليه
به عائق الموحّ صخرًا وألقى السلام عليه
أنا عندها قد همست بأذن الحبيبة
ألا نمطني قاربًا كي نجوب المياه الرحيبة
وماذا جرى قطبت حين ذاك الجبين
وزادت سوادًا حمى الحاجبين
تمنعت عندًا بصوت الدلال:
محال... محال... محال... محال... محال... محال...
ويعلو بوسط السماء القمر
لقد أوغل الليل طاب السهر
وأنت بثوب رقيق تبدى شفيقا
نسيم من البحر يلهو هيفا
أقول أحتمي بي ماذا الغضب
رداء كئيب ترى تلبسين
تقولين عندًا بصوت الدلال:
محال... محال... محال... محال... محال...
وحين بدا الفجر يزهب بلون الشفق
وقطر الندى من حدود الزهور انزلق
أبث السؤال كوقع احتمال:
وأنت تعيدنين ذاك المقال:
محال... محال... محال... محال... محال... محال...

تعالى، وكيفية السلوك إليه، وهو علم النفس الذي هو جزء من العلم الطبيعي.
- معرفة المعاد، وأحوال الواصلين إليه تعالى وإلى داررحمته.
- معرفة المبعوثين من عند الله تعالى لدعوة الخلق، ولنجاة النفس، كالأنبياء والأوصياء وحتى الأولياء عنده..
- ذكر أقوال المفكرين الجاحدين وكشف فضائهم.

لانعاش يكتب عن كيف يعلمنا أن نحيا حياتنا إلى أقصاها ولقد ألهمت قصائد حافظ الشيرازي طوائف مختلفة من النخبة الأدبية عبر الأمم والأزمنة شمس الدين محمد حافظ هو أشهر شعراء الفرس، ومعجزة أدبية فريدة في رأي كثيرين، ودرة عين الكاتبين: الأمريكي «رالف إيمرسون» (1803-1882) والألماني غوته (1749-1832)

ترجم كلاهما شعر حافظ الشيرازي بعد خمسة قرون من موته، وقال الأول مقولته الشهيرة في مدحه: «كتب حافظ شعرا يحدث به الشعراء»، بينما أعلن «غوته» ببساطة، بعد دراسته المعمقة لشعره، أنه «ليس كمثل حافظ أحد»، وهي ببساطة أكد «نيتشه» أنها جمعت بين الشاعر الفارسي ومترجمه ومحبه الألماني.

وأمام مرقد الشاعر في شيراز يجتمع الكثيرون ليحربوا حظه أو ما يسمى فال حافظ ولقد جربت مع المجرين فاخرج كنار من الصندوق الخشبي المفتوح ورقة بمنقاره وقد فتحها وقرأت مقطعا من شعره « الفن حبيبة تقبل راسك » ولفترة طويلة ظل « فال حافظ، تقليداً يطلب فيه القارئ النصح من روح وحكمة الشاعر الصوفي عندما يواجه صعوبة أو مأزقا في حياته، وتعامل فيه كتبه كما لو كانت تحوي نبوءات، وتفتح بنية إرشاد الروح إلى طريقها.

ومع أنه صوفي في طبعه، يتخذ شعر حافظ الشيرازي أبعاداً مذهبة دوماً ومحروسة أحياناً :
أنا ثقب في ناي يمر من خلاله
نفس المسيح.. استمع إلى الموسيقى
ويكتب في قصيدة أخرى :
انظر كيف تبتسم شفاة الأرض هذا الصباح
رقدت بجانب ليلة أمس، مجدداً
وتكمن صفة الفن وقيمته العظمى في قدرته على أسر انتباه الآخر ثم استغلاله. فعندما ياسرنا الجمال، يحصل الشاهد دوماً، أو الجمهور، على شيء في المقابل يقول حافظ :

رفعتي وجه الجبل إلى أعلى من الجبل ذاته
ملا تني غمزة في أغنية بالبهجة
وعرفت لحنًا من ترانيم الفردوس
وسط الغابة، التي تتركني أمشي بين أذرعها العارية
جثوت على ركبتي أصرخ في صمت - نعم،
نعم يا صديقتي المقدسة، ليبتلني بهاوك
يضع الانغماس في شعر معلم حقيقي مثل حافظ داخل ذهنك مكونات دائمة لوصفة تجعل حياتك أفضل، إن أعدتها بتأم



اختلوا في مكان وفاة الصدر الشيرازي إذ قيل إنه توفي في البصرة وهو متوجه إلى الحج، وقيل وهو راجع من الحج، وقيل إنه توفي في شيراز، وذلك في عصر الشاه عباس الثاني الصفوي.

كانت للشيرازي جولات فكرية تناولت مواضيع كثيرة، ومن بين الأفكار البارزة التي طرحها، نستطيع أن نحدد نظريتين بارزتين هامتين جداً أثارنا حواراً فكرياً كبيراً، وكانتا سبب هجوم رجال الدين عليه، وهاتان النظريتان هما :

الأولى نظرية «وحدة الوجود» ويمكن تلخيصها تحت عنوان كبير وكما ورد على لسانه، بـ «موجودات متعددة متكررة في الخارج، ولها حقيقة عينية واحدة، فالوجود واحد والموجود متعدد». وقد أثبت هذه النظرية عليه العلماء والفقهاء ورجال الدين بعامه، فحملوا عليه حملات شديدة، بل لعنوه سرا وعلانية، وأثاروا عليه الناس، وكان هذا سبب عزله، ومع هذه الحملات فقد اعتقد بصحتها كثيرون من الفلاسفة، وحاول تلاميذه تقريبها من الجماهير، ولكن دون جدوى.

النظرية الثانية هي نظرية «الحركة الجوهرية» وكانت أيضاً ذات شأن كبير، وقد وضع فيها رسالة أسماها «رسالة الحركة الجوهرية». وتعددت تفسيرات هذه النظرية، فذهب بعضهم إلى أنها الأساس لمبدأ التحول والتطور، ولنظرية النشوء والارتقاء التي قال بها (دارون) بعد نحو مائتي عام، وأراد أن يتخذها برهاناً على إثبات الصانع، ودليلاً على حدوث العالم، وذهب آخرون في تفسيرها، إلى أن الحركة الجوهرية هي الحركة الذاتية التي تتمتع بها ذرات المادة، التي تتحرك على نفسها وعلى نواتها في نظام منسق، وتتألف منها مجموعة كالمجموعة الشمسية، تسير بسرعة فائقة، وهي بسبب سرعتها العظيمة، نراها ثابتة في حسنا، وتكون هذه النظرية بهذا التفسير هي البداية للنظريات الحديثة في الذرة.

إضافة إلى هاتين النظريتين فقد تناول الشيرازي في كتبه ورسائله موضوعات فكرية كثيرة، يذكر منها بإيجاز :

- ما يتعلق بمعرفة المبدأ الأول وصفاته وآثاره، والذي هو جانب كبير من الفلسفة بمعناها الشامل.
- معرفة الصراط المستقيم، ودرجات الصعود إليه

خلال مهمني كسفير لبلدي في إيران أتيت لي اللقاء بعدد من الأدباء والمنتقذين الإيرانيين ولست مدى تعلقهم بتراث الشيرازيين الثلاثة كأعمدة للشعر والأدب الإيراني وكان رئيس المستشارية الثقافية الإيرانية السابق بدمشق محمد علي آزرش وهو على درجة عالية من الثقافة واتقان اللغة العربية قد أهداني كتباً وأبحاثاً بعضها من تأليفه عن هؤلاء الشعراء العملاقة الذين نظموا بالعربية والفارسية وكان اهتمام الدكتور آزرش منصباً في تبيان علاقة التفاعل التاريخي بين الثقافتين العربية والفارسية ومدى التأثير والتأثر ببعضهما وشكل من خلال الجهود التي بذلها في المستشارية جسراً للثقافة الإيرانية وإيصالها لقراء العربية ونظم أكثر من ندوة حوارية حضرت بعضها تحاور بها باحثون ومختصون في الأدب العربي والإيراني وبيئنا العلاقات المتجددة بينهما وأفاق تطوير وتوثيق الروابط الثقافية الإيرانية العربية وفي مقالتي هذه أقدم إضاءة على جوانب من شخصية الشاعر الكبير حافظ الشيرازي وأفكاره.

وفي زيارتي إلى شيراز التي كانت لوقت طويل عاصمة إيران الفارسية أخذني مرافقي إلى مرقد الشاعر حافظ الشيرازي الذي يقع ضمن حديقة غناء وقد كتب على المرقد مجموعة من أشعاره بخطوط فارسية جميلة وكنت قبل الزيارة قد قرأت الكثير عن الشيرازيين الثلاثة الذين كان له دور بالغ الأهمية في الثقافة الإيرانية شعراً وفكراً وأدباً وعلماً وهم صدر الدين وحافظ وسعدي الشيرازي بالنسبة لصدر الدين الشيرازي عاش في زمن طغت فيه الروح الإشراقية، والتي كانت من أبرز سمات مجتمعه، وقد انعكست هذه الظاهرة في نفسه، وبرزت واضحة من بين آرائه وأفكاره ومؤلفاته، وكانت سبباً للحملات الشديدة التي شنها عليه رجال الدين، الذين كانوا يتلقون منه ردوداً قاسية أيضاً، إذ كان يقول: «إن أكثرهم أشقى من الجهلاء» وبسبب حملات رجال الدين عليه، عاملته الجماهير بجزاء، ولم يعط حقه من الاحترام، ولم يقدر التقدير الذي يستحقه، لذا اعتزل الناس سنوات طويلة بسبب ذلك الجفاء، ولم يلق التقدير إلا بعد موته، كمعظم العباقرة والمفكرين العظام.

وقد مر الشاعر صدر الدين الشيرازي خلال حياته بمراحل ثلاث :

الأولى: مرحلة التلمذة والدراسة وتتبع آراء الفلاسفة والمفكرين.

الثانية: مرحلة العزلة وانقطاعه إلى العبادة والتفكير، قضاها في بعض الجبال النائية.

الثالثة: مرحلة التأليف وتسجيل آرائه وأفكاره، وكان أكثرها على الطريقة الإشراقية والكشفية. وهذه المراحل الثلاث التي مر بها الشيرازي، تذكر بالمرحاح التي مر بها الغزالي (ت505هـ) فالتشابه بينهما واضح في مداخل حياتهما، وطريقة تفكيرهما، وكثير من أحوالهما أيضاً، ويظهر من آرائه التي أوردتها في مؤلفاته، أنه كان منسجماً إلى حد بعيد مع آراء محيي الدين بن عربي.

الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن

تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ص 3230 - هاتف 6117240-6117241 فاكس 6117244 - جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 \$ خارج الوطن العربي: 1\$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشاركين خارج سورية

هيئة التحرير:

أمير سماوي، د. سليم بركات، سهيل الديب،

علوش عساف، عماد نذاف، محمد الحفري

مدير التحرير:

د. حسن حميد

رئيس القسم الفني:

مها حسن

رئيس التحرير:

أ. محمد حديفي

الإشراف الفني:

نضال فهيم عيسى

المدير المسؤول:

مالك صقور

رئيس اتحاد الكتاب العرب

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:

- غير منشورة ورقياً أو عبر المشابة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسله 800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الإلكتروني hotmail.com@alesboa2016
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة

تعبّر عن وجهة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :

alesboa2016@hotmail.com

الاشتراك السنوي - داخل القطر: أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد 2000 ل س - وزارات ومؤسسات 2400 ل س - في الوطن العربي: للأفراد 6000 ل س أو 150\$ - للوزارات والمؤسسات 8000 ل س أو 175\$ - خارج الوطن العربي: للأفراد 2000 ل س أو 360\$ - للمؤسسات 3000 ل س أو 420\$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب - دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.



أ.محمد حديفي - رئيس التحرير



من ويلات الحروب

حدث ما، أو توضيح فكرة تبدو غامضة للقارئ العربي بسبب الاختلاف بين الثقافتين الروسية والعربية..

من بين القصص التي يقدمها مؤلف الكتاب قصة فتاة تدعى ألكندرا دانيولفتا التي تروي لنا حكايتها مع الألمان الذين قاموا باستدعائها إلى ألمانيا بذاكرة كتب عليها أن عقوبة العصيان وعدم التنفيذ الإعدام الفوري، ثم أكملت سرد حكايتها وبينت كيف أنها وثلاثة عشر شخصاً غيرها تم نقلهم بالقطار إلى داخل ألمانيا، وهنا راحت تصف كيف صارت تظهر أمامها بسرعة أشلاء البلاد المقصوفة بالقنابل، وتضيف: «كنا نسافر كما في الحلم، كالمؤمنين العاجزين، فاقتدي أي حماية، وتوقفنا في أثناء الطريق مرات عدة، كنا نخرج نمرن عضلاتنا قليلاً.. لقد أراد الفاشيون أن يجلبوننا أحياء وبصحة جيدة إلى الرايخ، وبعد أسبوعين وجدنا أنفسنا في ألمانيا في أحد المعسكرات»، وهنا توضح كيف تم اقتيادهم أول الأمر إلى الحمام ثم تبعت ذلك عملية الفحص والاستعراض كما يضحون الخيول في سوق الخيل، مضيئة هكذا كان ينظر الألمان إلينا، وتكمل: «اقترب أحد المشتريين مني وأمرني مبتسماً أن أتحنى جانبا، ثم تلا ذلك الفحص الطبي، وهنا خطر لي أن أحتال، وتصنعت أن صدري يؤلني، ففرضوني في مجموعة خاصة، فحصها الأطباء بعناية أكثر، وانتهى ذلك كله وأنا أأمل أن يعتبروني مريضة ويعيدونني إلى وطني، إلا أن الألمان حملوا من ادعى المرض في سيارة، ونقلونا كما تبين فيما بعد إلى مصنع في (برشواي) كان يوجد فيه عدد كبير من الروس، وفي اليوم التالي باشرنا العمل.. وتضيف: في البداية عملت مساعدة، أنقل بعض المواد في عربة يدوية يبدو أنها قطع للطائرات ولم أكن مرتاحة في هذا العمل، فخطيبي في الجبهة يقاتل، وأنا أقوم بصناعة الطائرات التي ستقصفه بالقنابل القاتلة!» وتضيف: «انتهى العمل، وكنا نقف في الطوابير لتناول العصيدة، وكانت ملوثة وغير نظيفة، حتى أنني مرة لاحظت في طعامنا فرخ ضفدع شرغوف فتوقفت عن الطعام وشعرت بالغثيان رغم أنني كنت جائعة جداً، وحين عضني الجوع أغمضت عيني وأكلت كل شيء»..

تلك هي حكاية فتاة عانت من ويلات الحرب، وهنا أتساءل: ترى ماذا سيكتب التاريخ عن ما تركته الحرب على سورية من ويلات وفجائع؟!

كثيرة هي الويلات التي سببتها الحروب عبر عهود مضت، وكثيرة هي الجراح التي خلفتها هذه الحروب، والتي ما زال بعضها ينزف حتى الآن، فالحروب يشعلها الطغاة، ويدفع أثمانها الفقراء الذين غالباً ما يشكلون الوقود لها، ويكتونون بنارها، ويدفعون أثمانها جوعاً وتشرداً، وموتاً مجانيًا، وكل ذلك لكي يُشبع الطغاة نهمهم، ويكنز تجار هذه الحروب أموالهم الحرام، وفي وضع كهذا ليست دموع الضحايا وويلاتهم وعذاباتهم بالشيء المهم لدى تجار الحروف ومشغليها..

نحن السوريين عشنا وما زلنا نعيش ويلات حرب مضى على افتعالها عشر سنوات أذاقنا أعداء الإنسانية والإنسان ما يعجز عن تصوره العقل؛ إذ تقاطروا إلينا وحوشاً من كل جهات الأرض، فقتلوا ونهبوا ودمروا وشردوا السكان الأمنين حتى صرنا نحس ألا عدالة في هذه الأرض لكثرة ما عانينا وما زلنا نعاني حتى الآن، فنادرًا ما نجد أسرة سورية لم يُشرد أبنائها في أكثر من قارة من قارات العالم، فالأب والأم في مكان، والأولاد كل في مكان، ولنا أن نتخيل كم هو ثقيل على الروح والقلب أن يصرف الوالدان وقتهم في ترقب الأسوأ الذي يمكن أن يحصل لأبنائهم المشردين غرباء على أرصفة مدن غريبة..

في تقديري أن التاريخ سيكتب كثيراً عن ويلات السوريين والمآسي التي ذاقوها وأولادهم وأسرههم جراء هذه الحرب، ولكننا ولكي نسوق أمثلة واقعية من التاريخ لا بد لنا من تقديم شواهد وأمثلة عن حرب ضارية تعرضت لها البشرية وهي الحرب العالمية الثانية التي أرخت بظلالها ومآسيها على كثير من الشعوب، ومن بينها الشعب السوفييتي الذي تعرض للغزو النازي الذي استباح الأرض السوفييتية، وأذاق شعبها الويلات، وترك خلفه الكثير من المآسي، وقد قام المؤرخ والأديب والقاص الروسي «ميخائيل كيزيلوف» بصياغتها على شكل حكايات أخذها من أفواه أبطالها الذين عاشوا حياة القهر والتشرد، وتعرضوا لأبشع أنواع التعذيب والاضطهاد، إذ جعلهم يتحدثون براحة وموضوعية تامة؛ لينقل لنا على الورق ما كان أبطاله قد قاموا بسرده على مسامعه حتى أنجز كتابه «عذاب الروح» الذي قام بترجمته عن اللغة الروسية إلى اللغة العربية الأديبان مالك صقور وشاهر نصر بحيادية تامة إلا في بعض الحالات والمواقف التي تقتضي تدخل المترجمين للإضاءة على

mouhammad.houdaifi@gmail.com



- قطرات متأخرة
- طراد ظه
- شعر



- الدفتر والقسيمة
- هيسم جادو أبو سعيد
- قصة



- لثلاث الوجوه أصلي
- ريم البياتي
- شعر



- جثث أخطأت العبور
- عبد النور الهنداوي
- شعر

منشورات اتحاد الكتاب العرب
إصدارات جديدة